

كِتَابُ
مَشْرِاقِ أَنْوارِ الْقُلُوبِ
وَمِفْتَاحِ اسْتِزَارِ الْغُيُوبِ

تأليف
عبد الرحمن بن محمد الأنصاري
المعروف بابن الدبّاغ

بتحقيق
هـ . ريتز

دار صادر
بيروت

الشيخ العلامة أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ الصالح الزاهد الورع أبي عبد الله محمد الأنصاري رضي الله عنه ونفعه ونفع به بمنه وكرمه :

قال الشيخ الفقيه الأجلّ الأوحد العالم العلّم الصالح الورع الصدر
العلامة أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ الصالح الزاهد الورع أبي عبد الله
محمد الأنصاري رضي الله عنه ونفعه ونفع به بمنه وكرمه :
الحمد لله الذي أطلع شمس الجمال القدسي بمطالع آفاق القلوب ،
وأشرق أنوار العوالم الروحانية على صفحات الصور البديعة الإنسانية من
وراء حجب الغيوب ، وأظهر محاسن وجوه الحقائق السالبة للعقول بجمالها
الرائق فوق أزرة الجيوب ، وجعل بين الأنوار العلوية والصور السفلية ارتباطا
ربانياً أجراه بمشيئته على نظام مُتَّفَقٍ وأسلوب ، وتناسباً إلهياً تحكيه
العقول المتيقظة مُناسِبةً المحب والمحبوب ، والصلاة على سيدنا محمد الذي
حاز من شرف المقامات النبوية أجلّ موهوب ، وأشرف مطلوب ، وسلم
كثيراً .

(٢/٠) أما بعد — بلغك الله منازل أهل التحقيق ، ولا عدّ لك عن
سواء الطريق — فقد سألتني أن أكشف لك عن حقيقة السلوك إلى جناب
الأحباب ، والوصول إلى حضرة الجمال الإلهي التي تحوم عليها القلوب
والألباب ، ومشاهدة النور الأعلى ، ومحاسن صور العالم الأرفع الأسنى ،
والوقوف بالوادي المقدّس طُوًى ، فأجبتك إلى ذلك بقدر ما تقتضيه الحال

ويساعد عليه الخاطر المقسّم ويعطيه المقال ، بعد أن قرعتُ أبواب الغيوب
 بيد الضراعة ، وسألت الإعانة من الفتاح العليم بلسان الافتقار جهد الاستطاعة ،
 وطلبت منه الامداد بالتوفيق ، والهداية إلى الحقّ من أقرب طريق ، فذكرت
 طرفا من ذلك على معنى الايحاء والتلويح ، دون الاطناب في الكشف عنه
 والتصريح ، وإنما قصدتُ بما إليه التشويق ، لمنازل أهل التحقيق . ورأيتُ أنّ
 كتّم هذا القدر عن أربابه ظلّسّم . كما أنّ بذله لغير أهله حرامٌ وإثمٌ ، وإن
 كان محفوظا بالغيرة الإلهية عن غير أربابه . ومخروسا بالحماية الربّانية إلا
 من أصحابه (من الكامل) :

لِمَ لَا أُعَرِّضُ بِاسْمِ عَزَّةَ إِنَّهَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاقِفًا وَعَهودًا
 لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكْعًا وَسُجُودًا

(٣/١) والمغزى الذي نُورده في هذا الكتاب ينحصر في مقدمة وعشرة

١٢ أبواب .

الباب الأول في الطرق التي بها تصل النفس إلى المحبة الحقيقية .

الباب الثاني في ذكر المحبة ومعانيها واختلاف عبارة الناس فيها .

١٥ الباب الثالث في أقسام المحبة بحسب جنسها .

الباب الرابع في حقيقة الكمال والجمال على ما يعطيه المقال .

الباب الخامس في محبة المناسبة المعنوية الخفية عن أذهان البرية .

١٨ الباب السادس في أقسام المحبين وأذواق السالكين .

٩-١٠ البيتان لكثير عزة إلا أن المصراع الأول من البيت الأول في الديوان هكذا :

لا تغدرن بوصل عزة بعدما

أرجع إلى شرح ديوان كثير نشر هنري بريس ، الجزائر ١٩٣٠ ج ١ ص ٦٤-٦٥

١١ والمغزى الذي : لم يبق من الكلمتين إلا والمغزى . والبقية مقطوعة

- الباب السابع في مقامات العارفين المشتاقين .
 الباب الثامن في منازل الواصلين ومشاهدة أهل التمكين .
 الباب التاسع في ذكر العشق على الاجمال وما يتصل بذلك من الأحوال . ٣
 الباب العاشر في الفضائل التي تكتسبها النفس بطريق المحبة . وبالله نستعين وإياه نقصد فيما نشير إليه ونعتمده .

مقدمة

- (٤/١) اعلم أن مطلب ذوي العقول الكاملة ، والنفوس الفاضلة ، نَيْلُ السعادة القصوى ، التي معناها الحياة الدائمة في الملأ الأعلى ، ومشاهدة أنوار حضرة قدس المولى ، والتلذذ بمطالعة الجمال الإلهي الأسنى ، ومعاينة مطالع ٩
 النور القدسي الأبهي ، وهذه السعادة لا تحصل إلا لنفس زكية ، قد سبقت لها في الأول العناية الربانية ، بتيسيرها لسلوك الطرق العلمية والعملية ، المفضليات بها إلى المحبة الحقيقية ، والشوق إلى الأنوار الإلهية . وبحصول هذه السعادة ١٢
 تحصل للنفوس العارفة من اللذة والابتهاج ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .
 وإذا تقرر ما قلناه فيجب على كل ذي لب المبادرة إلى حصول هذا الأمر ١٥
 الجليل ، وورود هذا المورد السلسيل ، الذي لم يصل إليه من الناس إلا القليل ، بل أقل من القليل ، فإن هذه السعادة هي المطلوب من هذا الوجود ، وغاية لذة العقول ، والمعنى الأشرف المقصود ، ولا يُدرك بمجرد الحواس الظاهرة ١٨

ولا يَقْوَى الجسم الباطنة المركبة فيه ، فإنها لا تُدْرِك إلا المحسوسات ولا
تلتذ إلا بها ، ولذاتُ المحسوسات بائنة منقطعة عن قريب وهي مع ذلك
٣ حجابٌ في الذهاب عن الله تعالى وعن العالم العلوي ، وإنما تُدْرِكُ هذه
السعادة وتلتذ بها النفوسُ الفاضلة، ذوات الادراكات الكاملة، بما قرّناه ،
فإنها من جنس العالم الأعلى وأتمودج منه ، وقد خلقت فيها أهلية الاتصال به ،
٦ ولكن لا يمكنها ذلك ما دامت عاشقة للذات العالم الأسفل مُقبلةٌ
بكلّيتها عليه ، فإن ذلك يوجب إعراضها عن العالم العلوي ، إذ عشقُ هذه
الأجسام وشهواتها البهيمية صارفٌ عن اللذات المملّكية الباقية في دار البقاء على
٩ نحو ما سبق في التقدير . وفي مثل ذلك قيل (من الكامل) :

حيرانٌ في سِجْنِ الحوادثِ مُوثَّقٌ خِدِنُ الصَّبَابَةِ في الحُضْبِضِ الْأَوْهَدِ
نَسِيَّ المعارفَ واللطائفَ فأنبرى يبغِي الحياةَ من المواتِ الجَلْمَ مَدِ

١٢ (٥/٠) قنبيه : وإنما سبق للنفس اللذة بالمحسوسات قبل اللذة بالأمور
الروحانية لتقدّم الحواسِّ وقوَى الطبع البدني من أول النشء قبل اندراج
نور العقل وإشراقه على اللذات الانسانية ، فلما كان الجسم أولَ منزل دبرته
١٥ النفس أوجب ذلك لها محبة الأجسام وشهواتها من أول الأمر ، وكلما طالّت
ألفتها لذلك قوَى حبّها للذات الجسم وغلب عليها سلطان الوهم المضادّ لحكم
العقل، فنازعَ العقلَ أشدَّ منازعة حتى صار كثير من النفوس لا يشعر أن
١٨ وراء لذة الأجسام وشهواتها لذةٌ لغلبة الوهم والخيال عليها ولذلك لا تشاق
إلى عالمها لكونها لم تعرفه ولم تألفه ، وقبل الجسم لم يكن لها وجود أصلا ،
فإنها حادثة مع بدنّها فلا يمكن صرفها عن عشق المحسوسات في الميل إلى
٢١ المألوفات إلا بعشقٍ عنيفٍ هو أشدّ من ذلك إلى معشوق أكمل وأتمّ لذة عند
من عرفه من اللذات المحسوسات لتتعلّق النفس بعشقه فيصرفها عن عشق
لذات الجسم ولا يمكنها من الميل إليها على ما سيأتي بيانه .

(٦/٠) **إشارة :** وإنما جعل الحق تعالى هبوط النفس إلى هذا العالم الأسفل على معنى الابتلاء لها إمّا لتحقيق الكمال بالمعرفة الموصلة إلى محبة الله تعالى والقرب منه فتحوز بذلك السعادة الأبدية وإمّا لتكسب الأخلاق الرديّة ٣ وتنقاد للشهوات الطبيعية المبعّدة من الله تعالى .

(٧/٠) **واعلم** أن كمال النفس هو عين سعادتها كما أن عدم كمالها البتة هو نفس شقاوتها ، وإنما يكون كمالها ونقصانها في هذه الدار ما دامت مصاحبة ٦ لبدنها ، فكما لها أن تصير بالرياضة بحيث تدرك المعارف الربانيّة بغير واسطة من العالم العلوي ، لا من خارج بطريق الخواص ، وتنطبع بالفضائل من محبة الحق ومعرفته ، والشوق إلى جمال حضرته ، فيصير لها ذلك خلقاً وعادة ونقصاً ٩ بضد ذلك ، وذلك بأن لا تعرف الحق ولا تحبه ولا تشاق إليه وتصير لها الرذائل خلقاً ثابتاً ، إذ خلقت مستعدة للأمرين جميعاً والبارئ تعالى ييسر كلاً لما يريد منه من خير أو شر . ولا تتوهم أن النفس تستفيد بعد فراق ١٢ الجسد كمالاً ولا تقدر على تحصيله ، وليس أيضاً بين إدراكها للحقائق في الدنيا وإدراكها لذلك في الآخرة فرق ، بل هذا هو عين هذا إلا زيادة كشف ووضوح كما بين تصوّر ذات الشيء في الخيال وبين رؤيته بالبصر ، وكما أنّا ١٥ إذا قدرنا إنساناً وليد أعمى إلا أنّه تامّ الفطرة جيّد الحدس وقد وُصفت له مدينته التي نشأ فيها وصفا كاملاً شافياً ، وتواتر وصفها له عنده حتى كأنه يشاهدها وحتى صار يصفها لغيره من العميان ويتصرف في سائر نواحيها ١٨ وطرقها بلا قائد ، فإن هذا إذا رُزق البصر دفعةً واحدةً وشاهد تلك المدينة رآها على وفق ما كان منطبعاً في خياله منها قبل مشاهدتها إلا أن الرؤية أكثر وضوحاً وأكثر جلاء . وكذلك رؤية الشيء في غيم رقيق لا يمنع الرؤية على ٢١ وجه ما ثم رؤيته بعد عند انقشاع ذلك الغيم . ولذلك نجد كثيراً من الناس يعشق الصورة الحسية الانسانية بالسمع حتى يهيم بها ثم يهواها بعد ذلك فتكون

عنده على وفق الصورة المنطبعة في نفسه منها بالسماع . فهذا هو الفرق بين إدراك العارف في الدنيا وإدراكه في الآخرة ، إذ لا عائق عن كمال الإدراك واللذة به في الدنيا إلا حُجُبُ الأجسام وتدير ضروراتها ، فإذا ذهبت علائقها من النفس وانصرفت عن تديرها بالموت كانت لذّة المعرفة أكمل وأتمّ ، وقد تتفق لمن تجرّد في هذه الدار عن حبّ المحسوسات وعلائقها هذه المعرفة الكاملة ، ولهذا قال بعض العارفين : « لو كُشِفَ الغطاء ما ازدادت إلّا يقينا » . وإذا كانت المعرفة الّتي تحصل للعارف في الدنيا هي بعينها الّتي توصِّلُه في الآخرة إلى رؤية الحق فمن لم يعرف الحق تعالى في الدنيا وبلتذ بمعرفته ومحبّته لا يراه في الآخرة ولا يلتذ بمشاهدته إذ يموت المرء على ما عاش عليه ، ويُسَعِّث على ما مات عليه ﴿ ومن كانَ في هذه أعمى فهوَ في الآخِرَةِ أعمى وأضلَّ سبيلاً ﴾ (١٧ « الإسراء » ٧٢) .

١٢ (٨/٠) إشارة : واعلم أن جوهر النفوس القدسية الالهية كلها واحد ، وإنما أوجب لها الكثرة اختلاف استعداد القوة الحيوانية الّتي في الجسم وتتفاوت لتفاوت مزاج الجسم في الاعتدال ، إذ يوجد مزاج أتمّ اعتدالاً من آخر ، فأعطى الحق تعالى كل جسم نفساً تليق باستعداده الذي خلقه فيه من الكمال والنقص والقوة والضعف على ما جرت به سنة الله تعالى ، كما أن جنس النور واحد ويختلف أثره في الأجسام المضوئة به لاختلافها في نفسها . وإذا قلنا إن النور بالجملة واحد فإنما يختلف بالشدة والضعف فنور الشمس أقوى من نور القمر ونور القمر أقوى من نور الكواكب ، وكذلك المياه جنسها واحد

١٤ أتم : في الأصل « جسم » ولكن صدرها مقطوع ثم استدركه بعضهم بخطنا

١٧ واحد : في الأصل « يوحد » وصدر الكلمة مقطوع ثم استدركه بعضهم بخطنا

١٧ المضوئة : تصحيح على الظن ، والذي في الأصل « الموجودة » وعليها تضبيب والتصحيح في

الهامش مقطوع

ولإنّما يتنوّع بأمورٍ عرضت لها زائدةٌ على جوهر الماء من الحرارة والبرودة والعذوبة والملوحة والغلظ والرقّة ، فهذا هو سبب الخلاف العارض للنفس في هذا العالم ولأجل هذا الاختلاف اختلفت العلوم والمعارف والادراكات ٣ والأذواق ومنازل العارفين .

- (٩/٠) وما يزيدك وضوحاً أنّا لو فرضنا شخصا واحداً قد قابلت وجهه مرابا كثيرة مختلفة الأشكال بالصغر والكبر والصفاء والكُدرة وسائر الاختلافات ٦ فإنّنا نَجِدُ كل مرآة منها تنطبع فيها منه صورة مخالفة للأخرى وذلك لاختلاف المرايا لا لاختلاف صورة ذلك الشخص الواحد في نفسه ، فلو فرضنا مرآتين متساويتين في جميع الصفات الذاتية والعرضية حتّى لا يوجد بينهما فرق لكانت الصورة الحاصلة فيهما من ذلك الشخص واحدة ، وهذا الفرض باطل لعدم التساوي بالكلية ، لكن لما تقاربت المرايا في المناسبة تقاربت الصور في المماثلة ، فلو وُجد إنسانان متساويان في صورة الاستعداد الانساني وخُلقت لهما على هذا ١٢ التقدير نفس واحدة لكان معلومُ كل واحد منهما نفسَ معلوم الثاني وبطلت الاثنينية وحصل الاتحاد وهذا متعذّر ، وإنّما يتقارب المناسب مقارنةً شديدةً وهذه المناسبة هي الموجبة للمحبّة ، وتقوى المحبّة بحسب قوّتها حتّى لا يفهم ١٥ المحبّ أنّ بينه وبين محبوبه فرقا أصلاً ، كما قيل (من المجتث) :

أفنيّتي بك عني يا غايةَ التمني
أدنيّتي منك حتّى ظننتُ أنّك أنّي ١٨

(١٠/٠) وبقدر هذه المناسبة يكون عشق إحدى النفسين للأخرى إذ تتصور نفسُ العاشق أنّها هي ذات المحبوب وأنّ إدراكها لمحبوها هو نفس

إدراكها لذاتها وهذا هو معنى الاتحاد ، كما حُكي أن شخصين متحابين ركبا
سفينة فزلت قدم أحدهما من أعلى السفينة فسقط في البحر فلما رآه صاحبه
لم يتمالك أن سقط معه ، فلما رُفعا إلى السفينة قال الأول منهما لصاحبه: أنا
سقطت دون قصد وأنت لماذا سقطت ؟ فقال له: ظننت اني أنت وغبت عن
نفسي فسقطت . فكان انفعال الجسم عن تصور النفس حقيقة الاتحاد ، وهذا
كثير في العشاق . (من الرمل) .

كلما مَسَّكَ شيءٌ مستي فإذا أنت أنا في كل حال

(١١/٠) واعلم أنه متى كانت المناسبة التي بين المحبين بالفطرة الأولى
خفيت أسباب المحبة في هذا الوجود ، وان اتفقت بعدُ فإن كانت تلك
الأسباب ظاهرةً فزمانُ ظهور المحبة بقدر ارتفاع العوارض عن إحدى
الذاتين حتى تحصل المناسبة ، وربما كانت المناسبة فيما بعد بما يقرب بالرياضة
والتنقل في أطوار المحبة حتى تعود إلى أخص رُتب القُرب . وهذه الأطوار
هي مقامات المحبة . (من الرمل) :

ما أرى نفسيَ إلاّ أنتمُ واعتقادي أنكم أنتم أنا
عنصر الأنفس منّا واحدٌ وكذا الأجسام جسمٌ عممتنا

(١٢/٠) إشارة: واعلم أن النفوس ثلاثة أقسام : نفوس خلقت متيقظةً
من ذاتها مقبلة على بارئها بالفطرة معرضة عن ما سواه ، وهذه هي نفوس
الأنبياء وخوَصَّ الأصفياء أشرق عليها نور الحق فجذبها إليه وعكف بها
عليه وتُسمى مطمئنة

- والقسم الثاني نفوسٌ أعرضت بالكلية عن الحق تعالى وغلب عليها حبُّ المحسوسات وشهوات الأجسام لاستيلاء الوهم عليها فأنكرت الذاتِ الروحانية والمدارك العقلية ، وهذه هي نفوس الأشقياء ، فهي محجوبة عن ٣ الله تعالى مطرودة عن جنبه ولا مطمع في نجاتها ، وتسمّى الأمّارة
- والقسم الثالث نفوس أقبلت على حبِّ المحسوسات إقبالا متوسطا ولم تستغرق فيها قوّتها بالكلية بل بقي في قوّتها من اليقظة والفطنة ما تدرك به لذة ٦ المعاني العقلية وتطلب الفضائل وتنفر عن الرذائل ، فكان لها نظران أحدهما إلى الجانب الأعلى بقدر ما فيها من اليقظة والثاني إلى الجنبه السفلى بقدر ميلها إلى حبِّ الشهوات الطبيعية ، وتسمّى الوّامة . فهذه وإن كانت محجوبة عن كثير ٩ من الحقائق الربانية يمكن أن تتركّى بالرياضة وتلحق برتبة السعداء ، وهذا الصنف هم الذين وُضعت لهم مراتب السلوك وإليهم قصدنا بهذا التنبيه إذ الصنف الأول لا يحتاجون إلى سلوك فإن الحق تعالى أرادهم فاختصّهم بعنايته ، ١٢ والصنف الثاني طُبعوا على الشقاء في أمّ الكتاب ولا تبديل لخلق الله . والصنف الثالث هم أصحاب الرياضة لأن الأصل طهارة النفس وخلوصها وما حصل فيها من الظلمة عارض والعارض يمكن زواله ما لم يستحكم لا سيّما ١٥ إذا بقي في النفس قبولٌ للخير ولم يستحوذ الشرُّ عليها فهي كالمرآة الصديّة يمكن جلاؤها ما لم يرسخ الصند في جوهرها حتى يفسده .
- ونحن الآن نصيِّفُ كيفية السلوك لهذا الصنف من الناس بالرياضة حتى ١٨ تصفو نفوسهم وترقّ ، ثم كيفية توصيلها بالتشويق إلى مطالعة جمال الحضرة الإلهية ومشاهدة الأنوار القدسية بقدر ما يمكننا من العبارة إن شاء الله تعالى .

١١ مراتب : في الأصل « قرائن »

١٦ الشر : في الأصل « الشيء »

الباب الاول

في الطريق الموصلة للنفوس الزكية
إلى المحبة الحقيقية

٣

- (١/١) اعلم أن أجلّ ما في الوجود السعادة الأبدية كما تقدم ولا يُتوصّل إلى هذه السعادة إلا بمحبة الحق تعالى بكل القلب من غير شرك في محبته .
- ٦ ولا يوصّل إلى كل محبة إلا المعرفة بكمال المحبوب وجماله إذ مَنْ لا يعرف لا يحبّ ، وكلما كان المحبوب في نهاية الأوصاف الجميلة وحصلت المعرفة التامة بتلك الأوصاف على حقيقتها ظهرت المحبة على الذات العارفة عقيب ذلك ظهوراً لازماً ، أجرى الله بذلك السنّة . فالمحبة إذاً ثمرة المعرفة والمعرفة
- ٩ علّة المحبة وسببها فهي متقدمة على المحبة بالسبب والمحبة متقدمة عليها بالشرف من حيث أنها مقصودها ، وكل محبّ عارف وليس كل عارف بمحبّ أعني في ابتداء المعرفة ، فأما إذا حصلت المعرفة على الكمال وتوالت بتواليها المحبة
- ١٢ حصل كل واحد منهما عن الآخر ، فحينئذ يكون المحبّ هو نفس العارف والعارف هو عين المحبّ من غير رتبة ، وذلك أن المعرفة إذا تأكّدت أثمرت المحبة وإذا تأكّدت المحبة تجلّت للمحبّ أوصاف حبيبه ، ودام هذا التجلّي بدوام المحبة ودامت المحبة بدوام التجلي ، وحصل من ترادف هذه الواردات على قلب المحب معرفتها على ما هي عليه ، فقد اتّحد بهذا الشهود والتجلي
- ١٥

١ بمحب : في الأصل « محب »

محبة العارف ومعرفة المحب ، وصار كل واحد من هذين المقامين مولداً للآخر على التعاقب .

- (٢/١) ولما كانت المعرفة لا بد من تحصيلها—إذ كانت لا توجد في النفس ٣ بأول الفطرة لسبق الأوهام إلى الإنسان أولاً قبل شروق نور العقل ورسوخ تلك الأوهام بالعادة ، هذا في حق أكثر الخلق إلا النادر والشاذ — فلا تحصل المعرفة عند الجمهور في أول الأمر إلا بطريق النظر والاستدلال بالصناعة الإلهية ، إذ الصناعة دالة على صانعها بالضرورة ومشيرة إليه ، فسبيل السالك أن يتصفح الوجود ويديم الفكرة في المبدعات الإلهية وآثار عجائب الصناعة الربانية الدالة على كمال صانعها وجماله وبهائه وجلاله فإن ذلك هو باب ٦ المعرفة ، كما أن العالم الغائب عن الأبصار إنما يستدل عليه بتصانيفه . وإذا كان ذلك كذلك فأجل الصنائع الإلهية وأعلاها دلالة وأظهرها حكمة وأجلها برهاناً عالم الإنسان لِمَا أشرق عليه من نور النفس التي هي من عالم الأمر ٩ والدالة عليه ، والدليل على شرفها أن الحق تعالى أضافها إلى نفسه حيث قال : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (١٧) «الاسراء» (٨٥) وقال ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (١٥) «الحجر» (٢٩) وقال عليه السلام «من عرف نفسه عرف ربه» إلا أن النفس لا يدركها الإنسان أولاً مجردة عن الأجسام إذ الأجسام مظاهرها التي لا تظهر إلا بها ، فمظاهر النفوس الإنسانية الصور الآدمية المعتدلة المزاج ، فإن الجسم كلما اعتدل صفا وكلما صفا حصلت فيه صورة القبول لأنوار النفس التي هي ١٢ من أنوار الحق تعالى ، فلذلك كان هذا العالم الإنساني من أدل شيء على معرفة صانعه الحق تعالى ، لأنه اختصه من بين سائر الحيوان بأسرار الملك والملوك ،

١٦ الإنسان — الهامش : الانس — المتن

١٨ وكلما صفا : في الاصل « وكلما صفي »

وبدائع عجائب عالم الجبروت، فله الدلالة العظمى، إذ هو الآية الكبرى، ونسخة العالم الكلي المشتمل على الأسفل والأعلى .

- ٣ (٣/١) وإنما كانت هذه الحملة الانسانية مشتملة على أسرارِ أرواح العالم الروحاني وبدائع صور العالم الجسماني لأنها لم تكن جسما صرفا - فان المقصود الخروج عن عالم الأجسام وقواها إذ هي داعية إلى العالم الأسفل -
- ٦ ولا أيضا روحانية مجردة لكون النفس لا تشاق إليها قبل الرياضة لجهلها بها بل كانت ذاتا واحدة قد اجتمع فيها الحسن والمعنى والظاهر والباطن واللطيف والكثيف والعلوي والسفلي ، فبذلك عظُمت دلالتها على صانعها لكي تستدل النفس بظاهاها على باطنها وتعرُج عن حضيض سُفليّاتها إلى أفق عُلويّاتها ،
- ٩ إذ خُلِقَ فيها طَرَفان أحدهما متصل بالعالم المحسوس يتوصل إلى معرفته بطريق الحواسّ التي هي سبب حصول العلوم الضرورية، والطرف الثاني متصل بالعالم العلوي الذي هو عالم الأنوار الإلهية والجمال القدسي وبهذا الطرف يتوصل إليه . (من الطويل) :

تَبَدَّى لَنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ حَبِيبُنَا فَتَبَيَّنَّا كَمَا تَاهَ الْكَلِمُ بِهِ عَجْبُنَا
وَمَا نَحْنُ إِلَّا حُجُبُهُ وَهُوَ سِرُّنَا وَيَفْهَمُ سِرَّ الْحَجْبِ مَنْ فَهَمَ الْحُجُبَا ١٥

- فإذا تأملت النفس الصحيحة الفطرة بما ودّتها إليه فكرتها إلى هذه الذات الانسانية تأملا شافيا واستعملت الاعتبار بها استعمالا كافيا وشاهدت غرائب الحكمة المودعة فيها من جميع جهاتها وأحاطت علما بكُلِّيَّاتها وجزئياتها
- ١٨ التذت بهذا العرفان، وقام لها منها عليها واضح البرهان، فكانت لذتها <بها> أعظم من لذات المحسوسات الطبيعية والمنازع البهيمية ، فإذا حصل لها هذا النوع من الادراك اشتاقت إلى الكمال فيه، ويُتَّقِيها على ذلك ويؤكّده لديها ٢١

١٦ ودتها : كذا في الأصل مشكولا وعلله « هدته »

- ان النفوس خلقت بالفطرة تألف بعضها بعضا من أجل المناسبة الأولى ، حتى
تصل بتلك المناسبة إلى العشق والافتتان ويكون السبب الموجب لذلك ما تؤدّيه
إليها حاسة البصر من جمال النفس المحبوبة المشرق عليها من عالم الجمال ٣
المنعكس منها ذلك على أعضاء بدنّها ، فإن نور الجمال شيء تعشقه النفوس بالسرّ
المودّع فيها وتُجذبُ إليه بخواصّ جوهرها وليس للجمال الجزئي حقيقة
إلا إشراق نور النفس على الصورة المعتدلة المزاج الحسنة التأليف ، فإنّها كلما ٦
كانت الصورة كذلك قَبِلَتْ من جمال النفس بقدر ذلك الاعتدال ، ولذلك
نجد النفوس السليمة الطباع تأنسُ بالجمال وتحنّ إليه بقدر ما فيها من اللطافة
حتى تذللّ له وتخضع وتنقاد غاية الانقياد ، كما قيل (من الطويل) : ٩
- وكم قد أذلّ الحبُّ من متعزّزٍ فأضحى وثوبُ العزّ عنه سليبُ
وإنّ خضوع النفس في طلب الهوى لأمرٌ إذا فكرتَ فيه عجيبُ

- (٤/١) تنبيه : ولما قلنا إنّ النفس قبل كمالها لا تكتسب المعارف المكملّة ١٢
لذاتها إلا من الخارج بطريق الحواسّ ، حتى ان من فقد الحواسّ فقد فقد
العلوم الضرورية ، ولا تدرك النفس الجمال الجزئي إلا بحاسة البصر ، فإن
البصر مهما أدرك الصورة الحسيّة عند المقابلة بما فيه من النور الباصر ونقلتها ١٥
إلى الخيال تمثّلت فيه على ما كانت عليه في الخارج ، ويكون انطباع الصورة
في الخيال بقدر صفائه وسلامته من الآفات ، فإن كان للنفس اعتناءٌ بهذه الصورة
حفظتها الحافظة حتى تنقلها إليها وإلا امتحت وتلاشت ، ولا تزال النفس ١٨
تطلّع على خزانة الصور وتنظر لما يحصل فيها من الصور بواسطة الجزء الفكري ،
وإنما مثلهما في ذلك كمثل مرآةٍ مقابلةٍ لأخرى وفي الأولى منهما نفوس كثيرة
وصور مختلفة فإن جميع ما في المرآة الأولى ينطبع في الثانية ، وقد يغيبُ بعض ٢١
تلك الصور لضعف القوة الحافظة فلا تزال النفس تطلبه بواسطة القوة المفكّرة
حتى تستفيده من عالم الغيب الذي تتلقّى منه النفوس معارفها ، لأن النفوس

- ٣ بطول العناية بتلك الصورة تستعدّ لحصولها من عالم غيبها لا من خارج ،
ثم كلما ناسبت تلك الصورة التي في الخيال النفس تصرف فيها القوة المفكرة
فجردت منها عوارض الجسم وأخذت منها المعنى الروحاني ، وهو الجمال
المجرد عن علائق الجسم الذي هو مناسب للنفس المجردة ، فتنطبع هذه الصورة
المجردة في النفس المدركة انطباعاً متمكناً من أجل المناسبة ، فتحصل لها بها
٦ علاقة شديدة لشهودها لذات الجمال المجرد في ذاتها بذاتها دون احتياج إلى
تجديد أمر من الخارج ، وتعظم هذه العلاقة في النفس لابتهاجها بإدراك روح
الجمال ، ثم لا تزال هذه الصورة المنطبعة في النفس تزداد لطافةً وروحاً ومحلىها
٩ صفاءً وإشراقاً إلى أن تتحد بها النفس اتحاداً عقلياً بحيث تستغني عن العوارض
الجسمية والصور الخارجة اكتفاءً بما حصل فيها ولعلمها أن صورة المحبوب
الحقيقية إنما هي التي حصلت عندها وأن رسوم الجسم ليست هي تلك الصورة
١٢ الجميلة وإن كانت الأجسام مظهرها لها ، كما أن المرأة مظهر للصورة المرئية بها
وليست المرأة هي الصورة ولا الصورة فيها ، على ما يبرهن عليه في موضعه .
وإنما استغنت النفس بهذه الصورة التي فيها لأنها فيها ألطف وأقرب مناسبةً
١٥ وأشدّ روحانيةً مما هي في الخارج ، فلهذا مازجتها النفس أشدّ ممازجة
لتجردهما جميعاً عن المواد والعلائق بخلاف ما هو في الخارج ، ثم لما حصلت
النفس مدركة للصور الروحانية بذاتها وغير مفتقرة إلى الحواس وعلمت أن
١٨ الذي أدركت أثر من آثار العالم العلوي اشتاقت إليه بالكلية ، وعنده استعداد
لتلقي الجمال الكلّي من أفق العالم العلوي فيسبح لها الجمال الكلّي من العوالم
النورية وتلتذّ بذلك لذّة تحتقر معها لذّة جمال الأجسام الانسانية وإن كان كلّ
٢١ ذي جمال محبوباً ، جزءياً كان أو كلياً ، لأنه أثر من آثار العالم العلوي
المعشوق ، إلا أن الجمال المشرق على الهياكل الانسانية يكون بواسطة نفسه
والمشرق من العالم العلوي على النفس تدركه دون وساطة ولا تحديد ، وجنسهما
٢٤ واحد وإنما الفرق بينهما تفاوتهما في القوّة والضعف الذي أوجبه اختلاف

محالتهما كما أنّ عكس النور أفضل من عكس عكسه .
فالجملال الظاهر يفهم بواسطة الحواسّ والقوى البدنية ، والجملال الباطن
٣ تفهمه النفس من ذاتها بذاتها لكن بإفادة العالم الأعلى .

(٥/١) فقد تمجّص مما قلناه أن للإدراك ثلاث مراتب . **أولها** الإدراك
الحسيّ وهو أخذ الصورة بحاسة البصر دون تشكّل في الخيال إلا بقدر زمان
الرؤية . وهذا أضعف الإدراكات وأبعدها عن اللذة الحقيقية . **الثاني** ٦
الإدراك الخيالي وهو وجود صورة المحبوب في الخيال ثابتة فيه . **الثالث**
الإدراك العقلي وهو انتقال صورة المحبوب إلى ذات النفس عند التجريد من
العوارض . وهذا هو الإدراك الحقيقي والاتصال الكلي والمطلوب الأشرف ، ٩
فإن الأول سريع الزوال وسبيله التغير والانتقال ، والثاني طويل المقيم لكنه
غير بعيد من الانصرام ، والثالث باقٍ ببقاء الذات ثابتٌ على اختلاف الحالات
وكل محلّ حصل فيه المحبوب ولم يفتقر في كونه فيه إلى ما قبله فهو أكمل وأصفى . ١٢
ولنقتصر على هذا القدر ونرجع إلى ما كنا فيه من ترتيب السلوك .

(٦/١) **فصل** : اعلم ان النفس إذا أدركت جمال نفس إنسانية مناسبة لها
إدراكاً عريئاً من العلل والعوارض يحصل لها من الابتهاج واللذة بجمال ما أدركت ١٥
ما يُزيل عنها كثيراً من حبّ الشهوات البدنية التي كانت قبل هذا مألوفة لها ،
حتى أنها إذا أمّنت في ذلك تنصرف عن عشق بدنّها الذي كانت تحبّه وتعشقه
بطبعها ، ولهذا نجد العاشق يسلبه عشقه للكمال عن لذة المطعم والمشرب ١٨
والنوم وهي من الأمور الضرورية للجسم ، بل يحصل للنفس من الطرب
والسرور بما هي فيه من اللذة الروحانية ما يشغلها عن الشعور بما فاتها من

٤ مراتب : في الاصل « المرات »

١٠ التغير : في الاصل « التغير »

الذات الحسيسة ، كما قيل (من البسيط) :

لها أحاديثُ من ذكراك يشغلُها عن الشراب ويلهيها عن الزادِ

٣ وعند ذلك تتوجه بوجهها إلى حبّ الذات الروحانية ويصير حبها للصفات
المعنوية أكمل إلى أن تبرّم بما كانت فيه من قبلُ ، فإنها كانت باعتبار إقبالها
عن لذة المطعم والمشرب والمنكح وقصّر الإدراك عليها بمنزلة البهائم بل شرّ
٦ منها فإنّ البهيمة لم يُخلَق لها استعدادٌ سوى ذلك والانسان خُلِقَ مستعدّاً
لنيل الكمال الخاصّ به . (من الوافر) :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمامِ

٩ وإذا بلغت النفس إلى هذا الحد تجمّعت مفترقاتها ، وتألّفت قواها ،
وتضافر إدراكها الذي كان قبل هذا موزعاً على تحصيل لذات المحسوسات ،
فتصير بعد الشّتات همّها همّاً واحداً وهو الإقبال بكلّ الهمة على حب المعنى
١٢ الأشرف والقرب من العالم الأقدس ، وتقول (من الطويل) :

تركتُ هوى ليلي وسُعدى بمعزلٍ وعُدْتُ إلى مصحوبٍ أول منزلٍ
وناديتُ الأشواقُ مهلاً فهذه منازل من تهوى فدونك فانزلِ
١٥ وخذ بنعيمٍ قد صفا لك شربه ودع ما سوى الأحباب عنك بمعزلٍ

وعند ذلك تتسلط عليها دواعي الشوق إلى استكمال وصال هذه النفس
المعشوقة والاتحاد بها ، إذ وصال الأرواح اتحادها الذي معناه قرب المناسبة
١٨ بين النفسين حتّى لا يخطر للعاشق أن ذاته شيء غير ذات محبوبه بل يعتقد أنه

٨ للمتنبّي ، ديوانه بشرح المكيّري (مصر ١٩٣٦) ٤ / ١٤٥

١٠ وتضافر : في الاصل « وتظافر »

هو ، وبحصول هذا الاتحاد يزول معنى الفراق الذي هو عذاب النفوس
 فالفرقة عذابٌ ولا سيما فراق المُشاكل ، وكلما هاج الشوق انزعج القلب
 إلى كمال الوصال ، والوصالُ كما تقدم وصال الأرواح لا مجرد لقاء الأجسام ،
 ٣ فإنه لا جدوى له إذ قد نجدُ المتباغضين يجمعهما مكانٌ واحدٌ ويحسبهم
 جميعاً وقلوبُهم شتى ﴿ ٥٩ » الحشر « ١٤ » وإنما القريب من قرْبته المناسبة
 والبعيد من أبعده عدم المناسبة . (من الكامل) :
 ٦

دع ذكر أحجارٍ وذكر منازلٍ وتولّ عن بان العقيق ولعلّعِ
 وأنظر فؤادك تلقّ من أحببته فيه وعدّ عن اللوى والأجرعِ
 ٩ ومن العجائب أن أكون مُسائلًا عن حاضرٍ ما زلتُ أبصره معي
 مثواه في قلبي ونورُ جماله في ناظري وحديثه في مسمعي

الباب الثاني

في ذكر المحبة ومعانيها

واختلاف عبارات الناس فيها

٣

- (١/٢) اعلم أن المحبة هي أصل جميع المقامات والأحوال ، إذ المقامات كلها مندرجة تحتها فهي إما وسيلة إليها أو ثمرة من ثمراتها كالإرادة والشوق والخوف والرجاء والزهد والصبر والرضى والتوكل والتوحيد والمعرفة ، ولهذا ٦
اختصّ بكمال هذا المقام سيّد النبين ، وإمام المرسلين ، عليه أفضل الصلاة والتسليم ، فإنه أعطي من سرّ هذا المقام ما لم يُعطَ غيره من الأنبياء عليهم السلام ، ولتحققه به قال الله تعالى فيه : ﴿ من يُطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (٤) «النساء» ٩
(٨٠) وقال تعالى : ﴿ إن للذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾ (٤٨) «الفتح» (١٠) وقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (٣) «آل عمران» (٣١) ١٢
وحسبك أن جعل طاعته عين طاعته ومحبته شرطاً في محبته ، وما ذاك إلا لأنه وفّر نصيبه من نوره الذي أفاضه على العالم الأسفل بواسطته ، ولذلك سمّاه نورا مبيناً وسراجاً منيراً وجعله رحمة للعالمين . فبذلك النور كان عليه الصلاة والسلام يدعو الخلق إلى ربه تعالى ليوصلهم بالنور إلى النور ، وهنا سرّ يفهمه ١٥
أربابه الذين وصلوا إلى حقيقة الذوق لا يمكننا النطق به . (من الطويل) :

شربنا على زهر الربيع الموقوف وجاء لنا الساقى بصهباء قرقف

١٨ فلما شربناها ودبّ دبيبها إلى موضع الأسرار قلت لها : قفي

مخافة أن يسطو عليَّ شعاعُها فيطلعَ جُلَّاسي على سرِّي الخفي

- (٢/٢) ومن الدليل على أن المحبة مشتدلة على جميع المقامات والأحوال
 ان الإنسان لا يحبَّ محبوباً إلا بعد العلم بكمال ذات ذلك المحبوب . ثم يتأكّد هذا ٣
 العلم عنده ويتوالى فيكون معرفةً فتنبعثُ عن ذلك الارادةُ ثم الشوق إلى جمال
 هذه الذات ، ثم يلزم عن المحبة الصبر على شدة الطلب ، وينبعث له في أثناء
 ذلك خوفُ الحجاب ورجاءُ القرب والوصال ، ثم تُثمر المحبةُ الرضى بجميع ٦
 مُرَاد المحبوب والزهد فيما سواه واعتقاد وحدانيته أعني انفراده بصفات
 الكمال فإن ما سواه عدمٌ محض ، وإسناد الأمور كلها إليه بالتفويض له
 والتوكل عليه . ٩

- (٣/٢) وأما الأحوال التابعة للمحبة فهي مثل الأنس والبسط والقبض
 والمراقبة والهبة والفناء والبقاء والمشاهدة وسائر الأحوال ، فقد دخل في مجموع
 هذا المقام سائر المقامات والأحوال فإنها كلها مُرَادةٌ له سواء كانت سابقة ١٢
 أو لاحقة ، إلا أن هذا المقام لدقة معناه عن الافهام واعتياصه عن الأذهان
 يحتاج إلى شرح أبسط من هذا ، فنقول :

- (٤/٢) اعلم أنه قد اختلف الأولون والآخرون في حدّ هذا المقام ١٥
 وتباينوا في العبارة عن حقيقته إذ كلٌّ منهم إنما يعبر على حسب ذوقه منه
 وينطق بمقدار حاله وكلٌّ قاصر لعجزه عن الاحاطة بحقيقته ، ومَن وصل إلى
 شيء منه من أهل التحقيق لم يخاطب الجمهور به إلا رمزا وتلويحاً ، فإنه أعظم ١٨
 من أن تُشرَح حقيقته بالنطق وحسبُ المعبر عنه الایماء ، فأما شرح الحقيقة
 باللفظ الصريح فمتعذّر جداً ، ونحن نُورد من عبارات الناس عن هذا المقام
 ما هو كالإشارة والإلماع . ٢١

قال الحسين بن منصور الحلاج : المحبة قيامُك مع محبوبك بخلع أوصافك

لأن كَلِيَّةَ المحبِّ تطابق كَلِيَّةَ المحبوب فغيبته غيبة محبوبه ووجوده وجوده .

وقيل : المحبة سرور القلب بمطالعة جمال المحبوب .

وقيل : المحبة محو المحبِّ بصفاته وإثبات المحبوب بذاته .

وقيل : حقيقة المحبة أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب .

وقيل : المحبة نار في القلب تُحرق ما سوى المحبوب .

وقيل : المحبة أن تهب كَلِيَّتَكَ لمحوبتك فلا يبقى لك منك شيء .

وقيل : حقيقة المحبة ما لا يصلح إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب .

وقيل : المحبة معنى من المحبوب قاهرٌ للقلب تعجز العقول عن إدراكه وتمتنع الألسنة عن العبارة عنه ..

وقيل : المحبة أغصانٌ تُغرَس في القلب فتثمر على قدر العقول .

فهذه أقاويل مفترقة ترجع إلى معانٍ متقاربة كلها خارجة عن الحقيقة

إذ هي إما ثمرة من ثمراتها أو لازم من لوازمها ، وسبب من أسبابها ، أو شرط فيها ، والحقيقة كما قلناه لا يمكن أن تؤخذ من الألفاظ ، فإن الألفاظ المتعارفة

لا يوجد فيها لفظ يوفي بحقيقة المقصود ، وأيضا فالمحبة ألطف الأشياء فإذا

كُسِيتِ الألفاظ والحروف - وهما من عالم الحس الكثيف - فقد كشفت لذلك وخرجت عن موضعها من الطاقة الذاتية لها .

وأَيْضا فإن المحبة لا يعبرُ عنها حقيقةٌ إلا من ذاقها ، ومن ذاقها استولى

عليه من الذهول عن ما هو فيه أمرٌ لا يمكنه معه العبارة ، كمثل من هو طافح سُكْرا إذا سُئِلَ عن حقيقة السكر الذي هو فيه لم يمكنه العبارة في تلك الحال

لاستيلائه على عقله . والفرق بين السكرين أن سكر الخمر عرضيٌّ يمكن زواله

ويُعْبَرُ عنه في حين الصحو ، وسكر المحبة ذاتيٌّ ملازم لا يمكن من وصل إليه أن يصحو عنه حتى يُخبر فيه عن الحقيقة ، كما قيل (من البسيط) :

يصحو من الخمر شاربُوها والعشق سُكْرٌ على الدوام .

وأيضاً : فإن الخلد الحقيقي هو ما تركّب من جنس وفصل ؛ والمحبة لا جنس لها ولا فصل .

- (٥/٢) وأما حدّها على ما تُعطيه العبارة اللفظية فهو ابتهاج يحصل ٣ للنفس عن تصوّر حضرة ذاتٍ مّا ، فهذا من أجوّد ما تُحدّد به المحبة ، لأنّا قد نجد ظهور بعض الأمور الغريبة التي يُجريها الحق تعالى في العالم إنما يكون سببه شدة تصوّرات النفس، وكلما كان التصوّر شديداً كان ذلك أشدّ، ٦ فيتعدّى بهذا التأثير أولاً إلى بدنّها ثم إلى الخارج ، فإن كانت النفس فاضلة كان ما يظهر عنها نورانياً فيه لذّةٌ وقهرٌ كالمحبة، وإن كانت شريرة كان ذلك شراً وقساداً موجبا للألم والهلاك ، كالأخذ بالعين إذ معناه أثرٌ يُحدثه ٩ الحق بواسطة نفس خبيثة بتصوّر هلاك شخصٍ يحصل عن ذلك التصوّر . وكذلك النفس الحيوانية إذا تصوّرت صورة ملائمةً لطبعها يبعث ذلك التصوّر أعضاء بدنّها على جلبه ، وإن كان غير ملائم دفعته عنها بالقوة ١٢ الغضبية ، وقد يحصل عن تصوّرات النفس الحيوانية أعراضٌ كثيرة على سطح بدنّها مثل حسرة الحجل وصُفرة الوجل واشتعال الحرارة عند الغضب بعد كمونها واستحالة الدم إلى المنيّ عند تصوّر لذّة الوقاع إلى غير ذلك . وأما ١٥ ألّوهم فربما صوّر في الخيال صُوراً تُوفّر في الأجسام فسادَ المزاج حتى يؤدي ذلك إلى الموت .
- فإذا كان يتّظهرُ بتوسط قوى النفس الحيوانية هذا الأمرُ فما ظنك ١٨ بتصوّرات النفس الإلهية ! فإنّها إذا تصوّرت قرب الحق تعالى ولذّة مشاهدته التي هي غاية كل كمال ونهاية كل جمال فلا تُقدّر اللذّة الواردة على العارف في تلك الحال ولا تحرّر العبارة عن شدة طربه الروحاني وابتهاجه القدسي ، ونحن ٢١ نشاهد من تفكّر في عظّمة الحق تعالى وكبريائه وعزّ جلاله ترد عليه من أنواع الاضطراب والإغماء والخروج عن عالم الحسّ أمورٌ عظيمة ، وربما خرجت روحه فرّقا وخوفاً من الله تعالى ، ومن تفكّر في بدائع جماله وكماله طارت ٢٤

نفسه محبةً له وشوقاً إليه .

- ولو أننا وجدنا عبارة عن اللذة الحاصلة للمحبّ عند تصوّر حضرة محبوبه
 ٣ بلفظ هو أعظم من لفظ الابتهاج لشرحنا به معنى المحبة . لكن لا يمكن أن
 نوفي بذلك عبارة . وناهيك من لذة هي لذة الملائكة المقربين وخواصّ
 أصفياء الله العارفين فهي أعظم من أن تمرّ على خاطر . ولذات النفوس
 ٦ الفاضلة لا تُقدّر ولا تُحدّد إذ لذاتها بذاتها في ذاتها وبما يردّ عليها من
 جمال العوالم النورية المستفاد من جمال الحق تعالى لا بأمرٍ ما خارج إذ الأمور
 الخارجة لا تفعل في النفس شيئاً لكنها تحرك منها ما أودع فيها أو تُعدها
 ٩ لتلقّي ما يَسُنح لها من عالم القدس . ولهذا قال بعض العارفين : « إنما لذاتي
 بذاتي في ذاتي » .

- فهذا ما حضرنا من شرح حقيقة المحبة على الاجمال ، فإن أردت ما هو
 ١٢ أبين من هذا وكنت أهلاً له فنحن نشير لك إلى طرفٍ منه فنقول :

- (٦/٢) اعلم أن الحق سبحانه لما أشرق نوره القدسي الذي هو عبارة
 عن سرّ الوجود والحياة والجمال والكمال على العالم الكلي فأول ما ظهر وتجلّى
 ١٥ على الذوات العاقلة العارفة وهم الملائكة المكرمون فحصل لها بها ابتهاج شديد
 لا يمكن وصفه وتصورته ما حصل لها به من الظهور والجمال والكمال والنور
 فتضاعف ابتهاجها ونظرت إلى ذاتها فرأتها عاجزةً قاصرة عن الاحاطة بإدراك
 ١٨ كمال هذا النور متلاشيةً عند مشاهدة جلاله فخضعت عند ذلك لسلطان قهره
 وعزة كبريائه واستشعرت عدمها عند وجوده ونقصها مع كماله ، فحصل لها
 باعتبار هذين الوصفين صفة المحبة التي هي ابتهاج يشوبه قهرٌ ، ثم إن هذه
 ٢١ الذوات لما استنارت بهذا النور الإلهي وغابت فيه عن ذواتها تكيّفت به إلى
 أن صارت كلها نورا محبةً لذاتها ولبارئها . أما محبتها لذاتها فليما بها من

٧ ما : استدركت بالهامش

- نور الحق تعالى ولأنها هي الذوات الكاملة العارفة التي اختصّها الحق تعالى فان
الذي حصل لها ويحصل من كمال وجمال ووجود وبقاء فإنما هو من لدنه
لا من ذاتها ، فصارت باعتبار ما بها من نور الحق تعالى سرّجا منيرة مُحِبَّة ٣
لأنوار القدس معشوقة لمن دونها ، ثم سرى منها هذا الأمر إلى عالم النفوس
الانسانية التي هي كالزجاجة القابلة للنور بشدة صفائها وبما جعل فيها من القبول
له فابتهجت بإدراكه وتصوّرها إياه في ذاتها بذاتها فقوي عشقها له لاتحادها ٦
به ، ثم إنها ألقت شعاع جمالها على صفحات ابدانها الآدمية المعتدلة التي هي
في المثال كالمشكاة لهذا النور إذ هي تقبل النور ولا تُنير ، وعند هذه الأبدان
انتهى نور الجمال القدسي المعشوق للنفوس كما أن عند النفوس الانسانية ٩
انتهت الأنوار الموجبة للمحبة ، إذ مجرد الجسم لا يُعرَف فيُحَبَّب ، فإن المحبة
ثمرة المعرفة وإنما عديمت الأجسامُ إشراقَ النور الموجب للمحبة في ذاتها
لأن ذاتها كثيفة ظلمانية غير متكيفة بالنور بل هو فيها عارض فإذا جرّد ١٢
عنها بقيت مظلمة . (من البسيط) :

- كَمَلْ بعشق جمال الكون نفسك إن أردت تكشف سرّ العالمين معا
فإنما النفس كالمرآة إن ظهرت أرتك فيها جمال الكل منطبعا ١٥
وجرّد الحسن عن ظلّ يُقاربه تُدرّكه فيك بأفق النفس قد طلعا
فاشهدهُ منك وغيب عما سواك تجيد في ضمن ذاتك معنى الكل قد جُمعا

- ١٨ (٧/٢) فهذه نبذة يسيرة من شرح حقيقة المحبة لا يفهمها إلا من فهم
سرّ معنى قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نُوره كمشكاة فيها

١ فان : في الأصل «فلأن»

٩ انتهى : في الأصل «انتها»

١٠ المحبة : في الأصل «بالمحبة»

مصباحُ المصباحُ في زُجاجةٍ الزجاجةُ ﴿ الآية (٢٤) «النور» ٣٥ ﴾ فالحق تعالى هو نور
السموات والأرض لا مثل له ولا ندّ ، لأن الكلّ منه وعنه ، ومثال الذوات
العارفة الذين هم الملائكة المقربون المصباح والسراج لأنها منيرة مستنيرة ،
ومثال النفس الانسانية العارفة الزجاجة لصفائها وقبولها النور من غيرها ،
ومثال الأجسام الآدمية المعتدلة المشكاة لانعكاس النور إليها ، والمحبة هي الدُّهن
الذي تُوقد به هذه السُّرُج كلها ، وهو مستخرج من الشجرة المباركة التي هي
شجرة المعرفة التي لا شرقية ولا غربية لتنزّهاها عن الجهات إذ معروفها لا في
جهة ، وهذا الزيت هو صفو ثمرتها الذي ﴿ يكادُ ﴾ من شدة صفائه ﴿ يضيء ﴾
ولولم تَمسسه نارٌ ﴿ معناه أنه ينير ولو لم تستمدّ النور من غيره فإذا أشرق
عليه نور القدس كان ﴿ نوراً على نور ﴾ .

واعلم أن هذه الأنوار التي هي سُرُج العالم النوراني وإن كان بعضها
مستمدّاً نوره من بعض فكلها مفتقرة في نورها إلى نور الحق تعالى الذي هو
نور الأنوار . ولما كانت النفس الانسانية إليها ينتهي النور الذي يشوبه المحبة .
— إذ المحبة كما قلناه من صفات الذوات العارفة — لم يتّصف لذلك بالمحبة .
جمادٌ ولا مَوَاتٌ ولا ذو نور عارض . (من البسيط) :

جسومنا كالمشاكبي والنفوس لها مثل الزجاج ونور العقل كالسُّرُجِ
جرّد تجدد كل حُسن فيك مجتمعا إن ابن آدم يُعطى أفضل الدرجِ
جمالنا باطنٌ لو كنت تُخرجه . إلى الوجود للآح الحق بالحُججِ

(٨/٢) تنبيه : فقد تقرر من هذا أن النور الإلهي وإن كان واحدا فقد
اختلفت آثاره في الذوات لاختلافها ، فبعضها قبلت منه صفة الوجود والحياة
والمعرفة والمحبة والجمال وهي الذوات العارفة الكاملة ، وبعضها قبلت منه صفة

٧ لا (الثالثة) : زيدت في الأصل فوق السطر

٢١ - ص ١/٢٦ وبعضها ... الاجسام : مستدركة بالهامش

- الوجود والحياة والجمال وهي الأجسام التي تُدبّرُها الأنفس العارفة ، وبعضها قبلت الوجود والجمال وهي أجسام الحيوان والنبات ، وبعضها لم تقبل من هذا النور إلا صفة الوجود خاصةً وهي أجسام الجُماد المظلمة في ذاتها ، وإنما حصل ٣ لها من النور الوجودي رَشٌّ به ظهرت من ظلمة العدم وبه تناسبت مع أجناسها لا شراكها في الوجود . فالمحبة إذاً من صفات المقرّبين وبها كمال الوجود الحيّ وتماها ، ولم يخلُ عنها في العالم إلا أخسّ أقسامه وهو مجرّد الأجسام ، وبقدر ٦ وفور نصيب العارف منها يكون قربه من بارئه وبضعف نصيبه منها يكون نزوله إلى أفق البهائم وحضيض العالم الأسفل . فليس في العالم باعثٌ على العروج إلى عوالم النور شيءٌ سواها فهي أشرف الوسائل وأكمل ما اتصف ٩ به كلّ عارفٍ كامل : (من الكامل) :

- أيّ النسيم سرّى بأيّ خيامٍ متوشّحا بنوائب الأعلام -
 ١٢ وافى وقد عبيقت بنشرٍ أحبّتي نفحاته لا عرعرٍ وثُمام -
 فطربت لا أدري بأيّ لطيفةٍ وسكّرتُ لا أدري بأيّ مُدام -
 لولا هوّى للروح بين خيامهم ما كنتُ ولاّعاً بكلّ خيام -

- (٩/٢) وقال بعض العلماء : المحبة صفة عامّة سائرة في سائر الذوات ١٥ على اختلاف أجناسها حيّها وجمادها ، إذ النور الذي به ظهرت عامٌّ في الموجودات كلها من لدن أعلى عليّين ومنحدرا إلى أسفل سافلين وأن بالمحبة تمّت الكائنات وعنها وُجدت على اختلاف الحركات ، حتى إن حركة الخائف ١٨ إنما بعثه عليها حبّ النجاة فمن أجل ذلك تحرّك ، فهي كامنة في كل جوهر وما من وجود في العالم إلا وله نصيب منها قلّ أو كثر بطنّ أو ظهر ، فهي أعمّ نسب الوجود ، وبقدر نصيب الذات تناسب جميع الذوات وتشاركها ٢١

وبحسب ذلك يكون صعود الصاعد منها إلى العوالم الروحانية ، فهذا ما ذكره ،
والأول عندي أكثر تحقيقاً لأننا نُسَلِّمُ التعاشق الذي بين ذوات الأنفس وبين
ذوات الأرواح ، وأما الذي بين الجمادات من التآلف والمناسبة كما هو بين ٣
الحديد والمغناطيس أو المنافرة كالذي يوجد بين بعض الأحجار والخلل في
منافرته له حتى إن هذا الحجر إذا أُلقي في الخل لا يرسُب فيه على استقامة بل
على الانحراف فهي خواص جعلها الحق تعالى فيها بحسب تناسب قواها ٦
وتقارب طبائعها الجسمية ، لأنها عن أسباب روحانية . وقد انقضت إشارتنا
إلى التنبيه على المحبة الكلية .

٩ (١٠/٢) فصل : وأما المحبة الجزئية التي إليها قصدنا وعنها عبّرنا
التي هي أذواق النفوس الانسانية وأرواح لطائفها الربانية الموصلة بها إلى العوالم
القدسية الجامعة شملها بالنسب الكلية فهي سُلَاقَةٌ نوريةٌ إذا دارت على
النفوس المتيقظة أسكرتها بصفو مُدامها ، وأسمعتها لذيد نغمت كلامها ، ١٢
فطربت وحنّت إلى محلّها الأعلى وجنابها الأسنى ، وخرقت الحجب والأستار
وزُفّت إلى أفق لطائف الأسرار ، ولذتُها لا تنفك عن شائب ألمٍ
يشوبُها ، إذ من لوازمها الشوق وهو زاعجٌ يزعج النفس لطلب كمال ١٥
الإدراك وتمام اللذة به فهي عذابٌ في نعيم ولذّةٌ مشوبةٌ بقهر ، كما
قيل (من المجتث) :

١٨ فهل سمعتم بصَّبٍ صحيح قلبٍ سقيمٍ
مُنعمٍ في عذابٍ معذبٍ في نعيمٍ

فالمحبُّ يتنعم بما به يتعذب ويتعذب بما به يتنعم ، إلا أن هذا العذاب
محبوبٌ جداً لامتزاجه بلذّة المحبة واتحاده بها . (من البسيط) : ٢١

٧ لا أنها : في الاصل « لأنها »

١٨ فهل سمعتم البيتين : هما في الفتوحات المكية ٧٣/٢ ، ١٥٢/٤ و ١٩٤ باختلاف في الالفاظ

يا من يُعذَّبُنِي لَمَّا تَمَلَّكَنِي ماذا تريد بتعذيبِي وإضرارِي
تروقُ حُسْنًا وفِيكَ الموتُ أَجْمَعُهُ كالصقل فِي السيفِ أو كالنور فِي النارِ

- وكلما عظمت لذة المحبة خفي الألم وامتحق كما ينمحق نور السراج في ٣
نور الشمس ولا سيما عند المشاهدة ، إذ الاحساس بالألم مانعٌ من صفاء المشاهدة
وشائبٌ فيها . ألا ترى أن المحبة حجاب عن شهود المحبوب إذ الأصل الخروج
عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب ، ولا تخلصُ المحبة عن شائبة الألم إلا عند ٦
حالة الاتحاد على ما قررنا في هذا الكتاب .

(١١/٢) اشارة : وإذا كانت الصفات المشهودة من المحبوب لا تُحصَى

- كثرةً ولا يمكنُ ورودها عن المحبِّ جملةً بل تتعاقب بحسب زيادة الادراك ، ٩
وكل صفة منها توجب في النفس أثراً فإذا لا يزال المحبُّ أبدا يسعى في طلب
الزيادة ، فمهما تبدت له من محبوبة صورةٌ جميلة اشتاق إلى إدراكها لتحصيل
لذتها بها ، فإذا أدركها طلب ادراك ما هو أعلى ، إذ تجليات المحبوب لا آخر ١٢
لها ، والشوق يحرك المحبَّ إلى تكميلها ، فهو بالشوق إلى تحصيل هذا الكمال
يتألم وبالنظر إلى جمال ما يشاهده من محبوبة يتنعم ، كما قيل (من البسيط) :
ما يرجعُ الطرفُ عنه حين يُبصرُهُ حتى يعود إليه الطرف مشتاقاً ١٥
فالمحب لا يقنعه من محبوبة شيء ، ولا يقف في شهوده مع شيء دون
شيء ، حتى يصل إلى الكمال في المشاهدة .
ولما تقرر أن الصفات الواصلة إلى المحبِّ من تجليات المحبوب لا نهاية لها ١٨
كان الشوقُ إلى حصولها واللذة بنيلها لا نهاية لها أيضاً ، ولا يدخل ذلك تحت
عبارة . (من الكامل) :

شوقي إليك مجاوزٌ وصفي وظهورٌ وجديّ دون ما أخفي ٢١

٩ المحب : في الاصل « المحل »

يا ليت جسمي كله حَذَقٌ حتى أراك وليتسه يكفي
ما دارَ ذكرٌ منك في خلّدي إلا طرفتُ بدمعي طرفي

٣ (١٢/٢) قبيّه : واعلم أن لذة المشاهدة بقدر كمال الإدراك، وكمال الإدراك يختلف بأمور هي اختلاف المُدرَك والمُدْرِك والادراك وتفاوتُها في الكمال والنقص .

٦ أما المُدرَك وهو صفات المحبوب التي تتجلى بها المحبة ، فمتى كانت على غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال كانت المشاهدة أكمل . الثاني المدرك وهو المحبّ ، فمتى كان المحب في نهاية المحبة ونفسه في نهاية الشوق وعلى غاية الصفو والرقّة كانت لذة الادراك والمشاهدة أعظم . الثالث حالة الادراك وذلك أن الذي يشاهد محبوبه في صفاء الجو عند انتصاف النهار دون حائل ولا تشويش أكمل لذة من الذي يشاهده خلف سترٍ أو في غيمٍ ، وكلما كان الادراك أتمّ كانت اللذة أعظم وأكمل . (من الوافر) : ١٢

أراك تزيد في عيني جمالا وأعشق كل يومٍ منك حالا
تزيد ملاحه وأزيد عشقا فحالي فيك ينتقل انتقالا

١٥ فهذا ما أمكن من العبارة بحسب ما يليق بهذا الكتاب .

٦ تتجل - نجم : في الاصل « تحل »

٩ الصفو : في الأصل « الصفي »

الباب الثالث

في أقسام المحبة الجنسية والنفسية

- (١/٣) اعلم أن المحبة تنقسم إلى قسمين : أحدهما بحسب جنسها والثاني بحسب ما في نفسها . أما قسمتها الجنسية فلأنها تنقسم أولاً إلى ذاتية وعرضية ، فالذاتية هي التي يُحَبِّبُ المحبوب فيها لذاته ، والعرضية هي التي يُحَسِّبُ المحبوب فيها لغيره . أما العرضية فمنها محبةُ الاحسان وذلك كمن يحب من أحسنَ إليه وهذا معلوم لا ينكر . وكذلك ما في معنى الاحسان من جلبِ المنافع ودفعِ المضارِّ والاعانة على الأغراض وتيسير المطالب . فالانسان مجبول على هذه المحبة لأنها مركوزة في طباعه ، وإذا حاصِلها يرجع إلى محبته لنفسه التي جُبِلَ عليها ولا يُشَكَّ أن محبة الانسان لنفسه وكمال وجوده ودوامه أمرٌ متحقق ، فجميع ما يُعِينُهُ على ذلك من صحة جسمٍ أو صلاح حال أمرٍ محبوب عنده مندرجٌ في ضمن محبته لنفسه . ومن هنالك كانت محبة الانسان لولده لأن فيه نوع خلفٍ منه عند فناء جسده إذ في بقاء النوع ضربٌ من بقاء الشخص وولد الانسان أقربُ نوعه شَبَّهًا به ، ولهذا قالوا : « الولد سرُّ أبيه » ، فمن أجل هذا كان المحسن محبوباً لأنه مُعِينٌ على دوام البقاء الذي هو محبوب . قال عليه السلام : « جُبِلَتِ القلوب على حب من أحسنَ إليها » ، وكذا محبة الصديق من أجل أنه مُعِينٌ على جلبِ المنافع ودفعِ المضارِّ ، وكذلك أيضاً محبة المعلم لأنه سبب الافادة المكتملة للوجود الانساني . ومحبة الطبيب لأنه مُعِينٌ على حفظ صحة الجسم ودفعِ المرض عنه ؛ وجميع ما في هذا المعنى . .

- فهذه المحبة كلها عرضية، وكلما كانت هذه الصفة المحبوبة في شخص أتم وأدوم كانت محبته لأجلها أدوم وأكمل، وبقدّر نقصانها فيه تنقص المحبة له. ٣
- وقد تتضاعف هذه المحبة باستجماع هذه الحاصل كلها في شخص واحد وتعدّم بعدمها فيه، ولا يُشكّ أن هذه المحبة مجازية، لأن من أحب شخصا لنصفه تعود منه عليه فما أحب على الحقيقة إلا نفسه. ومثل هذا يقال فيه انه ٦
- محبٌ لنفسه حقيقةً ولغيره مجازاً، وليس غرضنا يتعلق بهذه المحبة إذ حاصلها يرجع إلى محبة الاجسام وبقائها، وقصدنا صرف النفس عن ذلك إلى ما هو أشرف، فهي ضدّ مقصودنا.
- ٩ وأما المحبة الذاتية ونعني بها التي تراد لذاتها فهي تنقسم إلى قسمين : أحدهما ما يُعقّل سببه والآخر ما لا يُعقّل له سبب. فالتّي لا يعقل لها سبب هي محبة المناسبة الخفية عن الأذهان، والتي يعقل سببها هي محبة الجمال والكمال الذاتيين للمحبوب. وقد انحصر مقصودنا من المحبة إلى ثلاثة أقسام : محبة ١٢
- الجمال، ومحبة الكمال، ومحبة المناسبة الروحانية. أما محبة الكمال فهي مزادة للجمال إذ الكمال مظهر للجمال، وأما محبة المناسبة فهي أيضا خارجة عن مقصودنا من السلوك إذ لا يتوصل إليها بسبب مكتسب وإنما هي شيء وُضع ١٥
- في الحملة بحسب القسمة الأزلية فلا يُفتقر فيها إلى طلب ولا رياضة، لكننا ننبّه على طرف منها من حيث الحملة لأنها إذا وجدت كانت أشرف أنواع المحبة وأدومتها. ١٨

- (٢/٣) فصل : وأما أقسام المحبة بحسب ذاتها فإنها تنقسم بحسب المبادئ والغايات إلى عشرة أقسام : خمسة منها مقامات المحبين السالكين. فأولها الألفة ٢١
- ثم الهوى ثم الخلّة ثم الشغف ثم الوجد. وأما مقامات العشاق فأولها الغرام ثم الافتتان ثم الولّة ثم الدهش ثم الفناء. واسم المحبة يشتمل على الكل إلا أن المحب لا يخلو إمّا أن يستعمل المحبة أو تستعمله، فإن استعملها وكان له فيها ٢٤
- كسب واختيار سُمّي محبّا اصطلاحا، وإن استعملته المحبة بحيث لا يكون

له فيها كسبٌ ولا اختيار ولا نظرٌ لنفسه بما تصلحه فهو عاشق ، فالمحب مُريد والعاشق مُراد .

- ٣ (٣/٣) فصل : وأما الألفة فهي أول مقام من مقامات المحبين ، ومعناها
إثارة جانب المحبوب على كل مطلوب ومصحوب ويستدعيها الانسان باستقراء
محاسن المحبوب وإدامة الفكرة في لطافة شمائله وما هو عليه من بديع الصنعة
وغير الحكمة الالهية ، ويتأكد ذلك بملازمة الصحبة وطول العشرة واستماع
٦ الأشعار المرققة للطبع التي تدرك فيها شمائل المحبوب وتدقيق الفكر في
معانيها اللطيفة .

- ٩ واعلم أن أصل التآلف التعارف الأزلي في عالم الغيب ، فمن تحققت نسبته
هنالك ظهرت هنا ، إذ العالم الأسفل ظلٌ للعالم الأعلى ، وهذه الأشباح أمثلة لتلك
الأرواح ، فما من صورة في عالم الشهادة إلا وهي مثالٌ لذات روحانية من عالم
الغيب ، فإذا تحركت تلك الحقيقة هنالك لزم أن يتحرك مثالها هنا ، كما أن الظل
١٢ تابع للشخص في حركته وسكونه ، فالتعارف هنا ثمرة ما هنالك . (من الكامل) :
يبي وبينك ذِمّةٌ مرعيةٌ بدأت هناك وكان آخرها هنا

- ١٥ وهذه الألفة تكون عموماً وخصوصاً : أما العموم فهي نسبةٌ تؤلف
جميع الموجودات لاشتراكها كلها في نور الوجود المشرق عليها من موجدّها
(من الطويل) :

- ١٨ خُلِقْتُ ألوفا لو رجعتُ إلى الصبي لفارقتُ شبيبي مُوجِعَ القلب باكياً
وأما الخصوص فهي التي يوجبها الاشتراك في أخصّ وصف الانسان
وهي المعرفة المعبر عنها بالايان المُنتج للمحبة الحاصلة عن النور التام ، ولهذا

٧ تدرك : لعله « تذكر »

١٥ تؤلف : في الاصل « تالف »

١٨ ديوان أبي الطيب بشرح المكبري (مصر ١٩٣٦) ٤ / ٢٨٤

كان المؤمنون بهذا الاشتراك الخاصّ كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائرهم، إذ السرّ القائم بهم واحد فهم شيء واحد بذلك الاعتبار.

٣ (٤/٣) فصل : فأمّا مقام الحِلّة فمعناها تخلّل شمائل المحبوب روحانية المحب حتى تتكيّف بها النفس والروح وسائر الجملة الانسانية فتتحرك أعضاء المحب عن إرادة المحبوب المتحرك بها القلب فتستحيل المخالفة ، كما قيل (من الخفيف) : ٦

وتخلّلت مسلك الروح مني ولذا سُمّي الخليلُ خليلًا
فإذا ما نطقْتُ كنتَ حديثي وإذا ما سكْتُ كنتَ الغليلا

٩ ولهذا قال عليه السلام : « المرء على دين خليله » . يعني أن الذي أشرق في هذا من النور الإلهي هو الذي أشرق في الآخر لاتحاد محليهما فكان دينهما واحداً أي مطلوبهما وفهمهما الذي يُدرّكان به الحقائق واحداً، ولا يكون هذا التخلّل إلا تابعا للصفاء والخلوص الذي معناه زوال العوارض الزائدة عن الدوات حتى تبقى مجرّدةً واحدة فتنبع فيها صورة الوجود الكلي . ١٢

(٥/٣) فصل : وأما مقام الهوى فمعناه ميل القلب بالكلية إلى وجهة المحبوب والإعراض عمّا سواه وتجريد القصد له في كل حين وصرف اهمة إليه ، وفيه تستحكم المحبة وتشتدّ صورتها وينبسط سلطانها ويستولي لاعج الشوق . ثم إن الهوى وإن كان وضعاً لازماً للمحبّ فهو يتجدّد بتجدّد النظرات إلى الصور الجميلة ، والمحاسن الرائقة النبيلة ، والشمائل اللطيفة المعاني ، ١٨ وفتور الألفاظ الذي يلحق الطليق بالعاني ، فيجلبُ له الهوى من كل صَوْب ،

٧ - ٨ وتخلّلت البيتين : الأول في الفترحات المكية ٢٢/٢ و ٣٦٢ ، ٤/٤٠٤ [وتخلّلت : قد تخلّلت ٢٢/٢]

١٩ صوب : في الأصل « صوت »

ويجدّد له الأشواق من كل ناحية وأوب، فهو رهين غرام ، وأسير سقام .
(من الطويل) :

- ٣ عيونُ المسّها بين الرُصافَةِ والحِسْرِ جلبنُ الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعَدَنَ لي الشوقَ القديمَ ولم أكن سلوتُ ولكن زِدَنَ جمرا إلى جمرِ
فالهوى سُلْطانه يستعبد الأرواح والأجساد ، وتنقاد لعزّته القلوب غاية
الانقياد ، فلا يبقى له معها اختيار ولا مُراد ، ولا يصحّ الانتصاف بالهوى
إلا لمن خرج عن هواه ، وآثر طاعة حبيبه على ما سواه ، فلا يسمع إلا منه ،
ولا يتحدث إلا عنه .
- ٩ رُوي أن بعض أصحاب الأحوال سمع قارئاً يقرأ : ﴿ أفرأيت من اتخذ
إلهه هواه وأضلّه الله على علمٍ وختمَ علَى سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوةً ﴾
فمن يهديه من بعد الله ﴿ ٤٥ ﴾ «الجاثية» (٢٣) فغُشّي عليه ، فلما أفاق سئل عن حاله
الذي استولى عليه من معنى هذه الآية فقال : قوله ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه
هواه ﴾ أي ليس له هوّ إلا إلهه فهو هواه ، وقوله ﴿ وأضلّه الله على علم ﴾
أي ضلّ في حبه لربه على علم منه به ومعرفة فهو في ذلك على يقين . ولهذا
قيل ليعقوب عليه السلام : ﴿ إنك لفي ضلالك القديم ﴾ (١٢) «يوسف» (٩٥) أي
في محبك القديم ، وقولُ ﴿ وختم على سمعه وقلبه ﴾ يعني بخاتم الغيرة فلا يسمع
إلا كلام محبوبه ولا يجد في قلبه موجودا غيره ، ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾
أي لا يشاهد إلا ذاته ولا يرى سواه ، ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ أي ان
عدم الهدى من الله فممن يطلبه . فهذا تأويل يدقّ على الأفهام معانيه ،
إذ كل إناء يترشح بما فيه . (من الطويل) :

- ٢١ إذا ما رأيتك العينُ من بُعد غايةٍ وعارضَ فيك الشكُّ أثبتك القلبُ

ولو أنّ ركبا يَتمموك لَقَصادهم جمالك حتّى يستدلّ بك الركبُ

وأساليب الهوى وفنونه كثيرة لا يشتمل عليها كتاب ، ولا تحيط بها

٣ عبارة ولا خطاب .

(٦/٣) فصل : فأما مقام الشغف وهو الكلف والولوع بالمحبيب ،

وهو عند أهل اللسان العربي بلوغ الحب إلى شغاف القلب أي أصله . وليس

٦ القلب في الحقيقة هذا الشكل الصنوبري الذي تحيط به الأضلاع ، كما هو

للبيهية ، ولكن القلب سرّ الانسان ومحلّ اطلاع الربّ الذي لا تحيط به

الأجسام .

٩ وإذا تقرر أن بين العبارات والمعاني المعبر عنها مناسبة وعلمنا أن شغاف

القلب أصله وأصل القلب الحقيقي عالم النور الإلهي الذي هو معدن المحبة

والمعرفة فإذا بلغت المحبة بصاحبها إلى هذا العالم النوراني والحسمى الإلهي الذي

١٢ لا يصل إليه إلا من اختصّه الحق تعالى بعنايته ، وأباحه حرم حرمة ، وجناب

جلاله وعظمته (من الطويل) :

أباحَ حِمْيَ لم يَرَعَهُ الناس قبلها وحلّت تِلَاعا لم تكن قبلُ حلّت

١٥ هنيئا مريثا غيرَ داءٍ مُخْطَمٍ لِعِزَّةٍ من أعراضنا ما استحلّت

فعلى هذا الحِمْي تُسَكَّبُ العبرات ، وتتصاعد الزفرات ، وإليه نحن

النفوس القدسية ، والأرواح اللطيفة الربانية ، حينَ الغريب إلى أوطانه ،

١ (ص ٣٤س ٢١) إذا الخ : البيتان لعبد الله بن محمد بن الباب ، الأغاني ٢٠/٢٤ والرواية فيها هكذا :

إذا أبصرتك العين من بعد غاية وأوقعت شكاً فيك أثبتك القلب

ولو أن ركبا يمنوك لقصادهم نسيك حتّى يستدل بك الركب

١٤ أباحت البيت : ديوان كثير عزة ١/٤٤

١٥ هنيئا البيت : ديوان كثير عزة ١/٤٩

والمحب إلى ألافه وأحداه . (من الطويل) :

تَمُرُّ الصَّبَاَ صَفْحَا بِسَاكِنِ ذِي الْغَضَا وَيَصْدَعُ قَلْبِي حِينَ هَبَّتْ هُبُوبُهَا
قَرِيبَةَ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ حَمَلَتْ حَبِيبُهَا ٣

فالعاشق يحنّ إلى هذا الموطن الجليل ، وينجذب جملةً إلى ظلّه الظليل ،
ونسيجه العليل ، وورودٍ منهله السلسيل ، فلا يشيم البرق إلا لأنه يأتي من
ذلك الجنب الرفيع ، ويُخبر عن سرّ جماله البديع ، فلهذا كان لمَعَانُ ٦
البروق ، يقطع بالشوق أفلاذ كبّد المشوق . (من الطويل) :

رَأَى الْبَرْقَ مَجْتَازًا فَبَاتَ بِلَا لُئْبٍ وَأَصْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ الْمَلِيحَةِ مَا يُصْبِي
وَقَدْ عَاجَ فِي إِطْلَاقِهَا غَيْرَ مُتَمَسِّكٍ لِدَمْعٍ وَلَا مُصْنَعٍ إِلَى عَدَلِ الرِّكْبِ ٩
وَكُنْتُ جَدِيرًا حِينَ أَعْرَفَ مَتَزَلًا لَأَلِّ سُلَيْمِي أَنْ يُعْتَفَنِي صَحْبِي
عَدَتْنَا عَوَادِي الْبُعْدِ عَنْهَا وَزَادَنَا بِهَا كَسَلَفًا أَنْ الْوَدَاعَ عَلَى عَتَبِ
وَبِي ظَمَسًا لَا يَعْرِفُ الْمَاءُ دَفْعَهُ إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ رَيْقِهَا الْخَصِيرِ الْعَذْبِ ١٢

(٧/٣) فصل : وأما مقام الوجد فمعناه وجود ذات المحبوب وسائر
صفاته الحقيقية منطبعةً في ذات المحبّ انطباعاً ثابتاً بحيث لا يمكن زواله ،
ولا يُتصوّر انفصاله ، وإذا بلغ المحبّ إلى هذا الحدّ فقد ذهب عنه الكسب ١٥
والاختيار ، واستوى في حقه الاعلان والإسرار ، ودخل في أودية المحبة ،
وسكر من صفو مدامها سكرًا دوامه بدوامها إلى أن صار السكر يهيم به في
كل واد ، ويسلك به في الاغوار والانجاد ، لا يقرّ قراره ، ولا يطمئنّ به ١٨

٢ تمر الخ : البيتان لمجنون العامري ، الأغاني (الدار) ٨٥/٢ [حين هبت : ان يهب - الأغاني

٣ حل : كان - الأغاني]

دارُهُ . (من الكامل) :

٣ خُذْ نُصْحَ قَوْلِي فِي الْمَحَبَّةِ أَوْ دَعِ . إِنْ لَمْ تَمُتْ وَجَدْتُ فَإِنَّكَ مُدْعِي
ليس الغرام نُحُولَ جِسْمِكَ دَائِمًا كَلًّا وَلَا طَوْلَ الْبُكَاءِ بِالْأَدْمَعِ
الْحَبِّ مَا أَفْنَاكَ مِنْهُ قَلِيلُهُ فَذَهَبَتْ حَتَّى لَا تُجِيبَ وَلَا تَعِي

٦ (٨/٣) ثُمَّ إِنْ الْمَحَبِّ إِذَا تَحَقَّقَ فِي مَقَامِ وَجَدِ الْمَوْجُودِ ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ
آثَارُ الشُّهُودِ ، يَشْهَدُ مَحْبُوبُهُ فِي سَائِرِ الذَّوَاتِ ، وَصِفَاتِهِ مَعَ سَائِرِ الصِّفَاتِ ،
فَلَا يَرَى الْوُجُودَ سِوَاهَا وَلَا يَرَاهَا سِوَاهُ ، وَإِذَا نَظَرَ نَظْرًا قَوِيمًا ، وَسَلَكَ فِي
الاعتبار طريقًا مستقيمًا ، رَأَى الْكُلَّ فِي ضَمَنِ حَقِيقَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَبَلَغَ إِلَى مَقَامِ
٩ الْفَرْدَانِيَّةِ . (من الطويل) :

وَطَارَحَتْنِي غُنْجُ اللَّحَاطِ مَعَانِيًا أَغَارُ عَلَيْهَا أَنْ تُلِيمَ بِمَسْمَعِي
فَكَرَّرْتُ طَرْفِي فِي الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ فَلَمْ أَرَ فِيهِ غَيْرَ مَعْنَاكَ مُقْنَعِي
١٢ وَطَالَعْتُ فِي سِرِّ الْهَوَىٰ فَإِذَا الَّتِي أَطُوفُ عَلَيْهَا فِي مَعَالِمِهَا مَعِي

وهذه العبارة إنما هي بحسب الاعتبارات وما توجه الأحوال من الجمع
والافتراق ، إِذِ الْحَقِيقَةُ تَجْمَعُ وَالْحَقُّ يَفْرُقُ ، فَإِذَا غَلَبَتْ عَلَى الْمَحَبِّ الْغَيْبَةُ فِي
الشُّهُودِ ، ذَهَبَ عَنْ خَاطِرِهِ حَقِيقَةُ الْوُجُودِ ، فَلَمْ يَرَ غَيْرَ مَشْهُودِهِ ، لِفَنَائِهِ
١٥ عَنْ رَسُومِهِ وَحُدُودِهِ ، وَإِذَا رَجَعَ إِلَى النَّظَرِ إِلَى ذَاتِهِ ، وَاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ
وَصِفَاتِهِ ، غَلَبَتْ عَلَيْهِ أَشْعَةُ الْجَلَالِ ، فَبَرَى ذَاتَهُ مَفْتَقَرَةً عَلَى كُلِّ حَالٍ .
١٨ وَهَذَا هُوَ آخِرُ مَقَامَاتِ الْمَحَبِّينَ وَأَوَّلُ مَقَامَاتِ الْعُشَّاقِ الَّذِينَ أَسْكَرَهُمْ شَرَابُ
الْقُرْبِ ، وَغَابُوا عَنْ ذَوَاتِهِمْ فِي شُهُودِ الرَّبِّ ، سَلَبُوا عَنْ اخْتِيَارِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ ،
وَأَخْرَجُوا فِي الْمَحَبَّةِ عَنْ مُسْتَقْبَرِ عَادَتِهِمْ . (من البسيط) :

٢١ سَعَوْا إِلَى الرَّاحِ مَشْيَ الرُّخِّ وَانصَرَفُوا وَالرَّاحُ يَتَسَعَّى بِهِمْ سَعَى الْفَرَازِينِ

لله دَرَهُمْ من فتيةٍ بَكَرُوا مِثْلَ الملوك وراحوا كالمجانين

- يعني أنهم لما سلكوا طريق المحبة سَعَوْا سَعْيَ الرخ أي على استقامة لأنها أقربُ الطُرُق، وعند شربهم من مورد المحبة وسُكِرهم صَدَرُوا عنه وَسَيَّرَهُمْ ٣ سَيَّرَ الفَرازين أي على غير استقامة ، فلأن من لا يدبّر نفسه إنما يسير كيف اتفق له، فإن حركته غير إرادية. فسُمِّي حالة المحبة قبل السكر محبةً وبعده عشقا.
- (٩/٣) فَأَمَّا العشق فأول مقاماته الغرام وهو الانتشاء من خمر المحبة ، ٦ ثم الافتتان وهو خلع العذار ، وعدم المبالاة بالخلق ؛ ثم الولّك وهو مقام الحيرة ، ثم الدهش وهو الذهول ، ثم الفناء عن رؤية النفس وهو أن يكون العاشق لا يسمع إلا بمحبوبه ولا يُبصر إلا به، ولا يدرك إلا به وله، ومنه فناءٌ به عن ٩ نفسه وعن الأشياء . (من الوافر) :

- مساكين المحبّين الحيارى تراهم مُطْلَقِينَ وهم أسارى
وتحسبهم صُحاةً من مُدامٍ وهم من خمر عشقهم سُكاري ١٢
إذا ذُكر الحمى حنّوا إليه بأرواحٍ مولّهةٍ حيارى
لقد سكن الهوى لهم قلوبا وقربها فأعدمها القرارا

- وأرباب هذه المقامات يتفاوتون فيها بحسب كمال الإدراك والذوق . وقد ١٥ كان يمكننا أن نشرح مقامات المحبة هذه بشرحٍ يبيّن حقيقتها ، لكن رأينا ذلك يستدعي تطويلا يُخرجنا عَنّا قصدناه من الاختصار . وأما مقامات العشق فهي أعظم من أن تتناولها عبارة ، أو تقع نحوها إشارة ، وإنما تؤخذ على ١٨ الاجمال ، وعند وصول السالك إليها يفصلها له ذوقه تفصيلا لا يفصله القول ، وإذا كانت محبة الجمال والكمال هي مقصودنا فيما نورده فلنشرح حقيقتها كما يجب بعون الله تعالى .

الباب الرابع

في معنى الجمال والكمال على ما يعطيه المقال

وفيه فصلان

٣

(١/٤) الفصل الاول في معنى الكمال ، وبدأنا به لأنه سرٌّ في وجود

الجمال فنقول : أما الكمال فمعناه حضور جميع الصفات المحمودة للشيء

وهو ينقسم إلى ظاهرٍ وباطن .

٦

أما الظاهر فهو اجتماع محاسن صفات الأجسام اللائقة بها وهو يختلف

باختلاف الذوات ، فكمال كل شيء بحسب ما يليق به ، فالذي يكمل به

شيء غير الذي يكمل به شيء غيره ، فإن الصفات التي تُكَمِّل ذات الانسان

٩

غير التي تُكَمِّل ذات الحيوان ، والتي يكمل بها الحيوان غير التي يكمل بها

النبات ، ولذلك الذي يُكَمِّل جنسا من الأجناس غير الذي يُكَمِّل الجنس

الآخر حتى ان الذي يُكَمِّل عضوا من أعضاء البدن غير الذي يكمل العضو الآخر.

١٢

فكمال صورة الانسان الظاهرة في تناسب أعضائها واعتدال مزاجها وامتزاج

البياض والحمرة في لونها ورقّة بشرتها وغير ذلك ، وكمال الفرس في قبوله لما

يراد منه من الكرّ والفرّ وحسن تأديبه لكي يتمّ المقصود منه ، وكمال النبات

١٥

غضارته ونضارته وبدائع أزهاره واختلاف ألوان نُوّاره ، وكمال الصوت في

رخامته وعذوبته ، وكمالات الأجسام كثيرة . فهذا هو الكمال الظاهر والنفوس

تتأثر به لأنه مظهر الجمال المحبوب بالطبع الروحاني والنفساني ، إذ الانسان

١٨

١٢ المصو : في الهامش وأول الكلمة مقطوع

- السليم من الآفات يجب الصورة الحسنة الخلق وينفر عن الصورة المشوهة المنكوسة أو التي فيها نقص أو شين . والحواس التي هي رسل النفس إلى الجمال المبدّد على صفحات الموجودات تستريح إلى رؤية الماء الصافي ٣ والأزهار المونقة والأرايح الطيبة والأصوات الرخمة والنغمات الموزونة حتى إن إدراك لذة هذه الأشياء تذهب الحزن وتُفرّج القلب وتبسط الأمل وتُسلي الهموم للمناسبة التي بين النفس وبين الاعتدال والصفاء والنور ومضادة ٦ طبعها للظلمة والكدر . فأما تأثير الألحان والأنغام الموزونة فيعظم وقوعه في النفوس حتى إنه يتعدّى إلى أرواح الحيوان غير الناطق ، فإننا نجد الحمل على غِلَظ طباعه يحمل الأثقال العظيمة فإذا سمع صوت الحُداة قطع المسافة ٩ الطويلة في الزمن القصير ، وكذلك الطيور تطرب لحسن النغم ؛ والطفل الرضيع يسكن ضجره عند التلحين ويهدأ كربه وينام . ويكفي في ذلك ما يُحكى عن الآلة المسماة بالأرغن وتأثيرها في النفوس من الأخلاق المختلفة . فمیل ١٢ النفوس إلى هذه الأمور المناسبة لها أمرٌ طبيعيّ فيها لا يُنكرَ ومحبتها لها إنما هي لذاتها لكونها مظهرًا للجمال ، فإن قارنت هذه اللذة لذة أخرى مثل مقارنة لذة النظر إلى الصور الجميلة الآدمية شهوة النكاح ، فإنما تلك الشهوة عن ١٥ باعث آخر من الطبع الحيواني ، إذ شهوة النكاح مغايرة للذة الإدراك النفساني ، والباعث على هذه غير الباعث على تلك ، فإن النفوس لما كانت ثلاثة أجناس: نباتية وحيوانية وإنسانية ، فلذة النباتية في المطعم والمشرب ، ولذة الحيوانية في المنكح وفي موجبات الغضب من التشفي والانتقام والرياسة ، ولذة النفس الإلهية في تحصيل المعارف الربّانية والانتعاش بالعلوم الدينية والقرب من الحق تعالى ومحبه . فالإنسان على هذا يجانس النبات بالنفس النباتية والحيوان بالنفس ٢١ الحيوانية والملائكة بالنفس الإلهية .

(٢/٤) ولما كانت هذه القوى الثلاث في الإنسان متغايرة كانت لذاتها

- أيضا متغايرة على ما قلناه . ومما يدلّ على اختلاف البواعث على هذه اللذات ٢٤

- أنا نجد الحمار مثلا إنما ينكح لدفع الفضلة المجتمعة فيه لا لأجل حسن صورة المنكوح عنده ، فإن البهيمة لا تفرق في نكاحها بين الصورة الحسنة والقبیحة ، وكثير من الناس لا ينكح إلا لتحصيل الولد وآخرون لمحض اللذة لا غير ، وهو الأكثر ، والعارف ليتخذ هذه اللذة سُلما لفهم الذات الأخروية للمناسبة الروحانية التي بينهما حتى يفهم تلك اللذة من ذاته ، وبهذا القصد تخرج هذه اللذة عن صورتها الظاهرة وتصير من الكمالات ، وقد يوجد في الناس من يفقد شهوة الجماع البتة ولا يفقد شهوة النظر إلى الصورة الجميلة وبالضد كالبهائم . فذلك على تغاير الشهوتين . وأيضا فإن الذي يلتذ بالنظر إلى الأزهار الأنيقة والرياض الأريضة والمياه الصافية والنقوش المزخرفة لا يحب نفسها ولا يحبها إلا لمنجرد لذة النفس بالنظر إليها لا غير ، فإن كون هذه الأشياء على غاية اعتدال صورتها الظاهرة كمال لها والكمال محبوب بالجلبة لا يُنكر ذلك ولا يُدفع . ١٢

- (٣/٤) فصل : وأما الكمال الباطن فمعناه اجتماع الصفات الفاضلة في الإنسان على اعتدالها وتطبعها بها ، والصفات الفاضلة العقلية كثيرة ولكن أمهاتها أربع وهي : الحكمة ، والعفة ، والشجاعة ، والعدالة . فمن هذه الصفات تفرعت سائر الفضائل المكملّة لذات الانسان ، ولا يكمل الانسان إلا باجتماعها فيه كاملة ، ولا تكمل هي في نفسها إلا باعتدالها ، واعتدالها بكونها تجري على قوانين الشرع المؤيد لقضايا العقل ، إذ بالشرع تكمل محاسن الأخلاق كما قال صلى الله عليه وسلم : « إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، فالحكمة فضيلة القوة العقلية وكماها بالعلم ، ويندرج تحتها حسن التدبير وثقافة الرأي وصواب الظن . ثم الشجاعة فضيلة القوة الغضبية وكماها بالمجاهدة ، ويندرج تحتها كبر النفس والاحتمال والحلم والكرم والنجدة والوقار ٢١

٤ الأكثر : مستدرک في الهامش وصدر الكلمة مقطوع

- ثم العفة فضيلة القوة الشهوانية وكما لها الورع ، ويندرج تحتها الوقي والحياء
والخجل والسماحة والصبر والسخاء والانبساط والقناعة . ثم العدالة عبارة
عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب وكما لها بالانصاف ، ويندرج تحتها ٣
جميع الفضائل التي ينقام بها وجود العالم كله .
وحاصل هذه الكمالات كلها يرجع إلى كمال العلم والقدرة أعني العلم
بفضل هذه الأخلاق والقدرة على استعمالها . فالكامل إذاً هو الذي يحيط علماً ٦
بهذه الأخلاق ويستعملها .

- (٤/٤) الفصل الثاني في الجمال وحقيقته ، وهو ينقسم على قسمين
مطلق ومقيّد . أما المطلق فهو الذي يستحقّه الحقّ تعالى وينفرد به دون خلقه ٩
فلا يشاركه فيه مخلوق ، وهذا هو الجمال الإلهي جلّ عن تمثيل وتكييف
وتشبيه أو وصف حقيقة ، عجز الأولون والآخرون عن إدراك كنه ذاته ،
فلا يدركه غيره ولا يعلمه سواه ، وإنما حظّ الخلاق منه عجزهم عنه . ولهذا ١٢
قال الصديق الأكبر : « سبحان من لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلاّ بالعجز
عن معرفته ، تعالت سُبُحاته أن تُدرَك بسواه ، وعزّت قسماته أن يُنال
جانب عزّها بسبب حاشاه . » ١٥

- (٥/٤) وأما الجمال المقيّد فإنه ينقسم إلى ظنيّ وجزئيّ . أما الكلي فهو
نورٌ قدسيّ فائض من جمال الحضرة الإلهية سرى في سائر الموجودات علواً
وسفلاً باطناً وظاهراً . فأول إشراقه على عالم الملكوت ، ثم على عالم الجبروت ١٨
وهو عالم النفوس الانسانية ، ثم على القوى الحيوانية ثم النباتية ، ثم على سائر
أجسام العالم السفلي على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها ، فما من ذرة
من العالم إلا وقد أشرق عليها من هذا النور الإلهي والجمال القدسي بقدر ٢١

١ الوقي : في الاصل « الوقي »

٣ احتماها ؛ لكن قبول الأشياء له بقدر العناية الأزلية ، ولولا ذلك لم يكن للأشياء ظهور . فإنّ هذا هو سرّ الوجود وبه ظهر ، ولو فرض عدمه لم يكن موجودا في العالم ، وهو أظهر الأشياء فلا أظهر منه ، ولا يدرك إلا بنور العقل . وكما أن نور الشمس به ظهرت الألوان والأشكال والصور ولولاه لم تظهر للحسّ فهو شيء زائد عليها . فالقاصر النظر إذا شاهد صورة الأشياء يعتقد أن ليس معها شيء زائد عليها ويتكر هذا النور الذي به ظهرت حتى أدركها الحسّ . فإذا ذهب ذلك النور وعدمت صورة الأشياء من البصر حينئذ يتفطن أن النور كان سبب ظهورها وإنما خفي لشدة ظهوره .

٩ فكذلك الجمال الكلي لم يخلُ عنه موجود ، لكن لا يدركه على الحقيقة إلا من كانت ذاته كلية ، كما أن من كانت ذاته جزئية لا يدرك إلا الجمال الجزئي . والكلّي الذات هو الذي تُناسب ذاته جميع الدوات فيكون كلّها وتكون كلّها ؛ وذلك أن العارف لماناسب الأشياء كلها بما له معها من الاشتراك في النور الإلهي الذي لم يخلُ عنه موجود لم ير ذاته شيئا غير ذلك النور ، وكذلك سائر الأشياء لا يراها شيئا إلا ذلك أو لا يرى لها من ذاتها سوى العدم المحض ، وإنما الوجود لها من ذلك النور ويراه مع هذا شيئا واحدا فيعلم يقينا أنه هو ذلك النور الواحد الذي غمر سائر الأشياء فكان كلّها وكانت كلّها .

(من البسيط) :

١٨ يا جملة الكلّ لست غيري فما اعتذاري إذا إليّ

ثم انه يفنى عن الكلّ بروية موجد الكلّ ، ولا يصح هذا إلا لمن كان الحق تعالى سمّعه وبصره إذ لا يشهد الكلّ إلا الكلّ .

١٣ ير : في الاصل « تر »

١٩ موجد : في الاصل « موجود »

وهذا كلامٌ لا يفهمه إلا أربابه الذين وصلوا إليه بالذوق ، وحرامٌ الخوض فيه مع المثبطين في عالم الأجسام المظلمة المانعة من اللحوق بعالم النور .
(من الطويل) :

٣

إذا كنتَ كرسياً وعرشاً وجنةً ونارا وأفلاكا تدور وأملاكاً
وكنتَ من السرِّ المصون سريرةً وأدركتَ هذا بالحقيقة إدراكاً
فكم ذاك التآني في الخضيض تثبُّطاً إلى كمٍّ مع الأسرى أما حان إسراكاً ٦

(٦/٤) فصل : وأما الجمال الجزئي فهو نورٌ علويٌّ يسبح للنفس الانسانية عند إدراك الصورة الجميلة الحاصلة في لوح الخيال المنتقش بقلم الحس البصري تنهيجٌ به فتستعدُّ بذلك الابتهاج لقبول إشراق نور آخر أشدَّ روحانيةً منه ٩
من عالم الأنوار المقدسة ، إذ النور يستدعي النور فينجذب إليه للمناسبة بينهما .
فذلك الابتهاج هو المعبر عنه بالمحبة التي تُفضي بالنفس إلى العشق وإلا فليس في قوى الأجسام ما يؤثر في النفس الانسانية ذلك التأثير ، إذ لا يفعل الكثيف ١٢
في اللطيف .

(٧/٤) وهذا الجمال من حيث الجملة ينقسم إلى ظاهر وباطن . فالظاهر منه ما يتعلق بالأجسام فلا يُدرك إلا معها ، والباطن ما لا علاقة له معها ، ١٥
وهو الجمال العقلي المجرد . والجمال الظاهر وإن كان له تعلقٌ بظاهر الجسم فهو منزّهٌ عن الحلول فيه ، وإنما معناه تجلّي نفسٍ انسانية وإشراقها على بدنّها بأنوار الجمال ولا يُدرك مجرّداً بالحواسِّ وإنما يُدرك بنور العقل لدقّة ١٨
معناه ولطافته ، فإن العقل نور والجمال نور ، فلا يُدرك النور إلا بالنور ، والحواسِّ إنما هي قوَى النفس الحيوانية وهي جسمانية فلا تُدرك شيئاً إلا ٢١
مع أشكال الجسم وأوضاعه ، وعلى تلك الهيئة يُنقش المرئي في لوح الخيال ، فصحّ أن الذي يدركه البصر مظهر الجمال لا ذاته ، لكن البصر إذا ودّى

ما أدركه إلى الخيال أدركت النفس معه روح الجمال مجرداً عن علاقته وأوضاعه ونقلته إليها ، فذلك هو الجمال المجرد الزائد على الجسمية ، وهو الذي يسبي العقول وتفتتق به الأرواح ، لكنه لا يُدرك إلا مع صورة الجسم التي هي في غاية الكمال ، فإن وُجد فيها هذا الكمال وُجد الجمال معه ، وإن عُدِم عُدِم . فالكمال مظهر له ومستدع لوجوده . ولذلك كانت النفس تحب الكمال ، لأن الجمال لا يوجد إلا مقارناً له ، كما أن وجود الصورة يكون مقارناً لصفاء المرءة .

(٨/٤) ونزيدك في ذلك بيانا فنقول : إننا إذا شاهدنا مثلاً وجهها حسنا ٩ قد تجمعت فيه صفات الكمال اللاتقة به أدركنا بقوة أخرى فينا غير حاسة البصر ذات الجمال التي كان الوجه مطلعها إلا أننا لا نقدر أن نعبر عن حقيقة ذلك الجمال المجرد نطقاً لدقة معناه ولا سيما في حين استغراقنا في مشاهدته ١٢ لذهول النفس عن تحرير العبارة عن ذلك ، فقد تضيق العبارة عن وصف كيفية لذّة محسوسة إذا قصدنا تفهيمها لمن ليست له حاسة إدراكها ، فلو سألنا شخصاً لم يُخلَق فيه حسّ الذوق قطّ عن طعم الحلاوة واللذّة بها لم ١٥ يمكننا أن نفهمه تلك اللذّة أصلاً ولا أن نعبر له عن كيفية حقيقتها عبارة توصله إلى علم ما جهل منها ، وكذلك العنّين إذا سأل عن حقيقة لذّة الوقاع لم يمكن أيضاً أن نوصل حقيقة تلك اللذّة إلى نفسه حتى يجدّها كما يجدّها ١٨ غيره ممن ليس بعنّين ، وكذلك سائر لذّات الحواس وآلامها ، لأن العلم بالأشياء إنما يحصل لنا أولاً من طريق الحواس ، فمن فقدّها لم يتوصّل إلى علم أصلاً ، إذ ليس للنفوس أولاً طريق إلى اقتناص العلوم من خارج غيرها . ٢١ فإذا عجز الانسان عن أن يفهم لذّة حاسة لمن لم تكن له تلك الحاسة فكيف يمكن أن يفهم لذّة المعقول من الجمال لمن لم يدرك ذلك من نفسه مع كونه لا يُدرك إلا بحاسة الحواس وهي النفس . ولهذا لما دق معنى جمال العيون

٢١ عن ان : في الاصل « عن »

النَّجْلُ عند من أراد أن يعبر عنه سمّاه مرّةً سحرا ومرّةً سهما ومرّةً سيفاً
لدقّة معنى السحر ونفوذه في النفوس والأجسام ودقّة معنى السكر الحادث
عن الخمر وتخلّله أجزاء الروح وقوَى البدن الحسّاسة وحصول الموت ٣
بالنظر كما يحصل عن السهم والسيف، وقيل (من البسيط) :

لأنّ العيون التي في طرفيها مرّضٌ يقتلنا ثمّ لم يُحيينَ قتلانسا
بصر عن ذا اللبّ حتى لا حرّاك له وهنّ أضعفُ خلقٍ الله أركاناً ٦

يعني أن جوهر هذا العضو لا يفعل بمجرّده هذا التأثير كله في النفس
الإنسانية على ضعف أركانه وإنما يفعله بشيء زائد على الجسمية وهو سرّ
الجمال الذي جوهره مؤثّر في جوهر النفس على ما قدّمناه . ٩

ولهذا لو فرضنا صورة إنسانية على أتمّ شكلٍ وأكمل هيئةٍ وألطفها من
جسم لا تحلّه الحياة ولا يُشرق عليه نور النفس لم يكن للقلب علاقة بتلك
الصورة ولو كانت على أتمّ ما ينبغي من الأحكام ، اللهم إلا أن تكون مُذكّرة ١٢
بجمال من هي مثال له من الدوات الحيّة الجميلة . (من الطويل) :

وقد قلّتما لي ليسَ في الأرض جنةٌ أما هذه فوقَ الركائبِ حُورها
يقولُ خليلي والظباءُ سوانحُ أهذا الذي تهوى فقلتُ نظيرُها ١٥
لئنْ شابَهَتْ أجيادُها وعيونُها لقد خالفتْ أعجازُها وصدورها
أراك الحِمى ! قلْ لي بأيّ وسيلةٍ توسّلتَ حتى قبلتْكَ ثغورها

٥ مرض : ويروى «حور» || يقتلنا - صلب الأصل : قتلنا - هاشم الأصل والديوان والأغاني.
والبيتان للجرير ، شرح ديوان جرير جمعه محمد اسماعيل عبد الله الصاوي . (مصر
١٩٣٥/١٣٥٤) ص ٥٩٥ والأول في الأغاني (الشنقيطي) ١١٢/٣ و ٣٧/٧ وكلاهما
في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (مصر ١٣٥٢) ٢٣٥/١

٩ جوهره : في الأصل «مؤثر جوهره»

فقد صحَّ أن الجمال الظاهر هو المعنى اللاتج على الهياكل الانسانية التي في غاية كمال الشكل وتمام الهيئة .

- ٣ (٩/٤) فصل : وأما الجمال الباطن فهو ما تفيده الأنوار القدسية الإلهية إذا أشرقت على العقول الزكية من الانصاف بأنواع العلوم الدينية وأسرار المعارف الربانية المؤدية إلى المحبة الحقيقية وسائر الكمالات والفضائل .
- ٦ ولا يُدركُ هذا الجمال إلا العقولُ التي هي في غاية الصفاء المستنيرة من أنوار الله التي تكون سببا لحصول محبة الحق تعالى بجملة القلب . فإذا تجلَّى هذا الجمال القدسي من الأفق الأعلى على القلب المطهَّر عن نجاسة الطبع وشاهدته النفوس في ذاتها ابتهجت به ابتهاجا شديدا ، وحصل لها بتلك المشاهدة لذة
- ٩ لا تُقاس بها لذات الحواس ، فإن لذات الحواس إنما كمالها بحسب كمال الحاسة التي بها أدركت ، وكمال الحواس بحسب صفاء مادتها من الروح الحيواني الذي هو قوة الجسم . وكما لا نسبة بين قوى الجسم ونور العقل فكذلك لا نسبة بين لذات الحواس ولذات العقل ، فإن الحواس إنما تُدرك بإشراق نور النفس الحيواني عليها ، والنفس الحيوانية إنما تُدرك بإشراق نور النفس الانسانية ، والانسانية بإشراق نور العقل عليها ، والكل يستمد نوره من نور الحق تعالى ، فلذات الحواس على هذا لا يقع ذرة من لذات عالم العقل ، وكما أن لذة الملك والاستيلاء على الأقاليم وقهر الأعداء ونصر الأولياء عند من توفرت دواعي نفسه النزوعية أعظم من لذة المطعم والمشرب والمنكح لأنه يترك هذه لها ، فكذلك لذة الجمال العقلي عند من توفرت حفظه من كمال العقل أعظم من سائر لذات الحس وسائر لذات القوى الحيوانية ، بل العقل إذا كمل لا يستحسن لذات الأجسام المظلمة ولا يركن إليها لحسنتها عنده وعدم بقائها بل يتأذى بها لكونها حجبا له عن رؤية الحقائق الإلهية ، والنفوس الفاضلة بطبعها أميل إلى قبول الصور الروحانية من الصور الجسمانية ما دامت على اعتدالها ولم تسلط عليها الأوهام ، فإن غلبة الوهم تحيل النفس عن اعتدالها حتى
- ٢٤

تستحسن لذة الأجسام وتركن إليها وتعمى عن رؤية الحقائق ، مثل المريض إذا فسد مزاجه فإنه لا يستلذّ باللذيد ولا ينفر طبعه عن البشيع لمرض حسّه .
ومن أنكر اللذات العقلية فقد عدم البصيرة الباطنة كما أن من أنكر جمال الصور ٣
الجسمية فقد عدم البصر ، وهو كالعنّين إذا أنكر لذة الوقاع .

- (١٠/٤) قنبيه واعتراض . لك أن تقول : إننا نجد كلّ ذي حسّ من الناس تتأثر نفسه بمشاهدة الجمال الظاهر ونعلم أن ذلك فيهم غريزي ، وربما ودّى كثيرا من الناس إلى إفراط المحبة الذي هو العشق فبلغ بهم إلى إتلاف النفوس ، وأما الجمال الباطن فليس له هذا التأثير العظيم عند الأكثر .
- فاعلم أن الجمال الظاهر يتوصّل إلى إدراكه بطريق الحواسّ وتوسّطها ، ٩ وهي لكلّ حيوانٍ ، سواء كان عاقلا أو غير عاقل ، حتّى إن الحواسّ الباطنة توجد في البهيمة إلا قوة الفكر فإنّه آلة العقل لا غير ، والجمال العقلي لا يتوصّل إليه إلا بصفاء العقل الإلهي وهذا لا يوجد لكلّ الناس ، فلذلك لا يعقله ١٢ من الناس ولا يدركه إلا القليل ، ومن وصل إليه يجد فيه من اللذة ما لا يجده مدرك الجمال الظاهر مما لا يُقاس ولا يُحدّد . ولهذا نجد من الناس من يحبّ الأنبياء والعلماء والفضلاء وذوي الأخلاق الكريمة وليس ذلك إلا لما ١٥ يعتقد فيهم من كمال صفاتهم الفاضلة الحميلة من قربهم من الله تعالى ومحبتهم له ، فيتعصّب لهم من أجل ذلك تعصّبا يُفضي به إلى بذل مُهجته وأهله وماله وسائر نفائسه في محبتهم وتُصرتهم والذبّ عنهم وعن مذاهبهم ، هذه حال ١٨ من ظنّ بهم هذا الكمال من العوامّ فاعتقده ، فكيف تكون لذة من علم كمال أحوالهم بالبراهين اليقينية وأدرك الجمال العقلي المقرون به ! فأين تكون لذة هؤلاء ممن تقدم ! وأين يكون ذلك من لذة من أدرك هذه الكمالات من ٢١ نفسه وتطبّع بها وصارت له ملكة ! فهل يقاس لذة نفسه بنفسه إلى لذة شيء

٣ مما ذكرناه ؛ وكثير ممن يحبّ العلماء والأفاضل من الناس وهو لا يدري هل كانت صورهم الجسمية حسنة أو قبيحة ، إذ لم يحبّ منهم إلا الصورة الباطنة ، ومن هنا كانت محبة الملائكة لقربهم من الله تعالى ومحبتهم له . وقد نجد من الناس من يحبّ من هو دون هؤلاء رتبة كحاتم الطائي فإن القلوب تحبّه لما انتشر من جوده وسماحته ، وتحبّ عمرو بن معدي كرب لما اشتهر من شجاعته ، والسموأل لما ذكر من وفائه ، والأحنف بن قيس لما نُقل من حلمه وعقله ، ولم يلتفت في هؤلاء المذكورين إلى الصورة الظاهرة وهذا يبيّن بنفسه .

(١٠/٤) قفيه : ومن محبة الكمالات الباطنة محبة العلم ، فإن النفس تحبّ معلوماتها سواء كانت تلك المعلومات شريفة أو خسيسة ، إلا انه كلما كان العلوم أشرف كانت لذّة علمه عند مدركه أعظم ، ولا يخلو أحد من لذّة بعلم ، فلنأخذ نجد الصبي يلتذّ بمعرفة أصناف اللعب ويفرح إذا نُسب إلى النفوذ فيها وتقدّم الأقران في حذقها . وكذلك العالم بصناعة ما تفرح نفسه إذا انفردت بعلمه بها حتى ان العالم بالشطرنج يبتهج بعلمه به وتشغله لذّته عن الطعام والشراب ويتألم إذا نُسب إلى التقصير فيه ، وكذلك نجد من كان عالما بأسرار مُلك مدينة وتدير مملكته فيها دون غيره يفرح بمعرفته تلك واطّلاعه على أحوال ذلك الملك ، فإن كان عالما بأسرار ملك اقليم وتدير أقطاره اشتدّت لذّته وعظمت ، فإن اطلع على أسرار مُلك الأرض كلها لم توازن لذّته بذلك لذّة لاستحقاقه لتلك الرتبة وصلاحه لها ، فكيف تكون لذّة من عرف الله تعالى مالك الوجود بأسره . وملائكته وكيفية وجود الأشياء بقدرته وما انطوى عليه العالم من أسرار القدرة وبدائع الحكمة على الكشف والوضوح؟ هل تصل إلى هذه اللذة لذّة أو إلى لذّته بنفسه من كونه هو ذلك العارف ، أو يخطر ذلك على قلب بشر ؟

٣ نجد : في الأصل « نجد كثير »

(١١/٤) حَكِي أَنْ بَعْضَ الْعَارِفِينَ سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ : ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ
وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ (١٢ « يوسف » ٧٥) فغُشِّي عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ
سُئِلَ عَنْ حَقِيقَةِ مَا فَهِمَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ : جَزَاءُ مَنْ وَجِدَ الْمَحْبُوبَ فِي قَلْبِهِ ٣
كَوْنَهُ مَوْجُودًا فِي قَلْبِهِ وَهَلْ يَوْجِدُ جَزَاءً لِلْمَحَبِّ أَعْظَمَ مِنْ حَصُولِ مَحْبُوبِهِ
بِذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ ؟ فَهَذَا نِهَایَةُ الْفَهْمِ الدَّالَّةُ عَلَى نِهَایَةِ الْحُضُورِ وَالْمُشَاهَدَةِ .
(مِنْ الطَّوِيلِ) : ٦

أَطَالُ فِي مِرَاةٍ قَلْبِي فَلَا أَرَى يَلُوحُ بِهَا مَعْنَى سِوَاهُ مَصُورًا
حَبِيبٌ إِذَا الْوَصَافُ فِي نَعْتِ حَسَنِهِ أَطَالَ وَأَنْهَى الْقَوْلَ فِي النِّعَتِ قَصْرًا
تَجَلَّتْ لِأَسْرَارِي فَلَمَّا عَرَفْتُهُ تَحَجَّجَ عَنِّي غَيْرَةٌ وَتَنَكَّرَا ٩
وَمَا أَنَا فِي مَعْنَاهُ أَوَّلُ حَائِرٍ وَلَا مَنْ يَزِيدُ الْفِكْرَ فِيهِ تَعَثَّرَا
فَكُلُّ كَمَالٍ لَيْسَ فِيهِ نَقِیصَةٌ وَكُلُّ حَدِيثٍ لَيْسَ عَنْهُ فَمُفْتَرَى
فَلَوْلَاهُ لَمْ يَنْطِقْ لِسَانِي بِذِكْرِهِ وَلَوْلَاهُ لَمْ أَسْمَعْ وَلَوْلَاهُ لَمْ أَرَى ١٢
وَلَوْلَاهُ لَمْ أَطْرَبْ إِذَا ذُكِرَ الْحِمَى وَلَمْ أَتَرْتَحِ لِلنَّسِيمِ إِذْ سَرَى

(١٢/٤) إِشَارَةٌ وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَمَالَ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ إِنَّمَا يَسْتَلْذَهُ الْإِنْسَانُ
وَيَفْتَنُ بِهِ لِأَنَّهُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَإِنَّمَا قَبِلَتْ مِنْهُ النُّفُوسُ الْإِنْسَانِيَّةُ وَالصُّورُ ١٥
الْجَسْمَانِيَّةُ بِقَدْرِ اعْتِدَالِهَا وَصِفَائِهَا . فَالْإِنْسَانُ يَحْنُ إِلَى هَذَا الْجَمَالِ مَا دَامَ مُحَلِّهُ
فِي تَدْبِيرِ نَفْسِهِ ، فَإِذَا ذَهَبَ تَدْبِيرُ النُّفُسِ النَّاطِقَةِ لِبَدَنِ الْإِنْسَانِ ، وَالْحَيَوَانِيَّةُ
لِجَسْمِ الْحَيَوَانِ ، وَالنَّبَاتِيَّةُ لِجَسْمِ النَّبَاتِ ، ذَهَبَتْ تِلْكَ الْعِلَاقَةُ الْقَلْبِيَّةُ ، إِذْ نُجِدَ ١٨
النَّفْسُ تَنْفَرُ بِطَبْعِهَا عَنْ جَسْمِ الْمَيِّتِ وَلَوْ كَانَ مَحْبُوبَهَا فِي حَالِ الْحَيَاةِ ،
لَعَلِمَهَا أَنَّهُ لَيْسَ مَحْبُوبَهَا الْحَقِيقِيُّ بَلْ لَا تَرَى مَحْبُوبَهَا إِلَّا الشَّيْءَ الَّذِي كَانَ يُشْرِقُ
عَلَيْهِ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ فَتَنْتَقِلُ عِلَاقَتُهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى فَتَقُولُ (مِنْ الطَّوِيلِ) : ٢١

خَلِيلِيَّ لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا مُشْكَمَا إِذَا عَلِمْتُ مِنْ آلَ لَيْلَى بَدَا لَيْسَا

- وكذلك تنفر النفس أيضا عن جسم النبات إذا ذهبت نضارته وصوتت
 ٣ غضارته وانعكست صورته فصار حطاما، بل تنفر عن الصورة الآدمية إذا
 ذهب عنها رونق العقل فأظلمت ، كمن غلب على مزاجه الماليخوليا ولو
 كانت تلك الصورة محبوبة قبل ذلك. ، وتنفر عن كل صورة ناقصة الخلق
 ٦ أو مشوهة. ولم نشاهد من عشق صورة من حجر أو خشب لعدم إشراف النفس
 على هذه الأجسام الذي هو سبب المحبة ؛ وكذلك أيضا لا تُعشق البهائم لعدم
 المناسبة بين النفس الانسانية والبهيمية ، وإنما تُحبّ البهائم للمنافع التي تتعلق
 ٩ بها كما تُحبّ الآلات ، ولا تُعشق النفس إلا ذا نفسٍ تجانسها لا مجرد
 الأجسام المظلمة المضادة للنور الذي هو جوهر النفوس . (من الطويل) :

- ولولا مَعَانٍ مِنْ جَمَالِكِ تُجْتَلَى وَإِلَّا فَمَا حُزُّوْى وَمَا سَفَحُ عَاقِلٍ
 ١٢ أَأَحْبَابُنَا حَمَلْتُمْ الْكَوْنَ بِهَجَةٍ فَأَصْبَحَ أَهْبَى مِنْ حُلِيِّ الْخَلَاخِلِ
 وَعَظَرْتُمْ أَرْجَاءَهُ بِنَسِيمِكُمْ فَفَاحَ بِأَذْكَى مِنْ عَبِيرِ الْغُلَاظِلِ
 فَمَنْ أَجَلِكُمْ أَشْتَاقُ سَلْعًا وَحَاجِرًا وَإِلَّا فَمَا لِي وَالرُّبَا وَالْجَنَادِلِ
 ١٥ فهذا ما حضرنا من القول في حقيقة الجمال والكمال وفيه كفاية لمن
 اقتصر عليه .

١ خليلي البيت : من شعر مجنون بني عامر الاغانى ٦٩/٤ [ما أنا منكما : ما أملك البكا -
 الاغانى ١١ من آل : من أرض - الاغانى]

الباب الخامس

في المحبة المعنوية الخفية عن اذهان البرية

- (١/٥) ومعناها وجود صفة خاصية في المحبوب تطابق مثلها من المحب تحمله على المحبة، وهذه المحبة دقّ فهمها عن العقل البشري كما دق معنى التعاشق الذي بين حجر المغناطيس والحديد، أما وجودها فالدليل عليه أننا كثيرا ما نجد شخصين بينهما محبة مفرطة من غير أن نعقل لتلك المحبة سببا ظاهرا فإن الأسباب التي توجب المحبة معلومة وكلها ترجع إما إلى وجود إحسان من المحبوب إلى المحب وإما لكمال المحبوب في ذاته باتصافه بالجمال الظاهر أو الباطن من أجل شغف النفس بحبّ من اتصف بهذه الصفات التي هي أسباب المحبة . وأما هذه المحبة فليس لها سبب من هذه فلها إذاً أسباب دقّ فهمها عن العقول ، وهي خواصّ في النفوس لا يصل إليها فكرٌ وإن دقّ . ويزعم أهل التنجيم أن سبب ذلك مناسبةٌ توجد بين الكواكب وتشكّل الفلك بشكل مخصوص عند مولدَي الشخصين المتحابين يوجب ذلك بينهما تعاشقا جسيما ، بسطوا ذلك في كتبهم ، وهذه منهم دعاوى لا برهان عليها. وفهم حقائق هذه المناسبة الروحانية متعذّر جدا ، والذي يثبت أن هذه المحبة لا يتوصّل إليها بسبب ، ولا توجد عن طلب ، وإنما هي تعارفٌ جعله الله تعالى بين القلوب لا يعلمه سواه . وقيل (من الخفيف) :
- ١٨

فيك معنى يدعو النفوس إليكما ودليلٌ يبدلُ منك عليكما
لي قلبٌ له إليكَ عيونٌ ناظراتٌ وكلها في يسديكما

٣ وإلى هذه الإشارة بقوله عليه السلام : « الأرواح أجناد مجتدة فما تعارف
منها اختلف وما تناكر منها اختلف » ، ويعني بقوله أجناد مجتدة أي أنواعا
وأشكالا ، وأراد بالتعارف المناسبة فما تناسب من النوع الواحد تآلف وما
٦ لا يتفق في النوع تنافر ، لأنه لا مناسبة إذا اختلفت الأنواع فلا تآلف .
ولهذا نجد كل نوع من الحيوان يحنّ إلى نوعه كما نجد كل صنف من الناس
يحنّ إلى صنفه ، فمن الناس ميّيلُ العالم إلى العالم والجاهل إلى الجاهل والملك
٩ إلى الملك والسوقة إلى السوق والتاجر إلى التاجر والفلاح إلى الفلاح والصانع إلى
من يشاركه في صناعته تلك ، حتى إن الصبيّ يحنّ إلى الصبيّ والشيخ إلى
الشيخ، وكذا في الحيوان غير الناطق مثل الحمام إلى الحمام والغراب إلى الغراب
١٢ والوحشيّ إلى الوحشيّ والانسّي إلى الانسيّ . وقد تتفق مناسبة هي أبعد من
هذه في أمور عرضية مثل ما يألف الغريب الغريب والمريض المريض والخزين
الحزين والمحبّ المحبّ .

١٥ ولقد حكى أن غرابا كان يألف حمامة ألفة شديدة فيطير معها إذا طارت
ويسرح معها إذا سرحت فنظر إلى السبب في تلازم اثنين من غير نوع واحد
فوجد كل واحد منهما أعرج فعلم أن نسبة العرج هي الجامعة بينهما . وكذا
١٨ نجد كل ما في العالم من مؤتلفين إنما ألفت بينهما نسبة خاصة إما عرضية أو
جوهرية خفية أو جليلة ، حتى نجد هذا التعاشق بين الحمامات مثل الحديد
ينجذب للمغناطيس ، وعيون الأفاعي تنسلب لحجر الزمرد ، والتبر ينجذب
٢١ للقهربا ، والزئبق لبرادة الذهب . وقال بعض الحكماء : « لكل شيء في
العالم مغناطيس يجذبه وضدّ ينافره » ، ولهذا قالوا : « الأشكال لاحقة بأشكالها »

وقالوا: «القلوب تأنس لمن تجانس وشكل الشيء منجذب إليه»، كما قيل (من الطويل) :

إلى الملا الأعلى سموتُ بهمتي كذلك شأن الشكل للشكل يحنحُ ٣

وقال بعضهم : «كل جوهر في العالم العلوي والسفلي إما عاشق وإما معشوق» يعني عاشق لمن فوقه ومعشوق لمن تحته حتى ان حركة الفلك عند هؤلاء عشقية ، فإن كل متلازمين في العالم إنما تلازما بأمرٍ عشقي كان ذلك ٦
ظاهرا أو باطنا .

(٢/٥) والعلة التي من أجلها تآلفت الأنواع بأنواعها والأجناس بأجناسها

٩ أن النفس المحركة للجنس الواحد واحدة بالجنس، والنفس المحركة للنوع الواحد واحدة بالنوع ، ومن أجل تنوع النفس تنوعت الأشخاص إذ الأشخاص تابعة للنفوس ، وكلما انحطت الأنواع إلى الأشخاص كانت المناسبة أشدّ ، فإن كانت هذه النسبة جوهرية دام التآلف بين المتحابين وإن كانت عرضية ١٢
لم يطل التآلف بينهما وافترقا ، وكذلك العداوة . ولهذا قيل : « لا صداقة أثبت من صداقة اتفاق الجواهر ولا عداوة أشدّ من عداوة اختلاف الجواهر » . ولهذا قيل (من السريع) : ١٥

وقائل : كيف تفرقتُما فقلتُ قولا فيه إنصافُ
لم يكُ من شكلي ففارقته والناسُ أشكالُ والآفُ

١٨ (٣/٥) وقد نجد الاتفاق كثيرا ما يقع بين اثنين وليساهما من نوع واحد ، كما نجد الاختلاف يقع بينهما وهما من نوع واحد وهذا توجه أسباب عرضية كما قدّمناه، والغالب زوال هذه المحبة إلا أن تجتمع لها أسباب كثيرة خفية عنا توجب بقاءها . وقال بعض العلماء : « إن النفوس خلقت شبه دوائر ٢١

وقُسمت كل دائرة منها بين شخصين فكل واحد في العالم يطلب الشخص الذي به تكمل دائرة نفسه . ولهذا القول معنى غير ما يعطيه ظاهر اللفظ ،
 ٣ إذ يستحيل على النفوس الانسانية التجزؤ والانقسام لأنها ليست جبرمية والانقسام من عوارض الأجسام، وإنما يعني تناسب المحلّ فيهما واستعداده لقبول واحد ، وهذا أيضا فيه نظر ، والصحيح ما قرّرناه أولا من أن الصورتين
 ٦ تتقاربان في الاستعداد حتى يُظَنّ أن استعدادهما واحد، فإما أن تكون هذه المناسبة بالفطرة الأولى وإما أن يوصلا إليها بعد أطوار من الرياضة حتى لا يكون بينهما إلا عارضٌ خفيٌّ عن الأذهان ، ولا تُعلّم الكيفية في ذلك حقيقةً إلا بالذوق . ٩

ومثال المناسبة الخفية أننا نجد شخصا يحبّ آخر ليس من صنفه وليس فيه أمانة ظاهرة مما قدّمناه توجب له عشقه . فهذه المحبة خاصة في جملة جوهر النفس لا يعبر عنها لسان ، ولا يطعم في فهمها خاطر ولا جنان .
 ١٢ ولذلك نجد كثيرا من الناس يلدّ طعم شيء لا يلدّه غيره ولا يوافقه ، ويستطيب رائحة لا يستطيعها غيره ، وكذلك يكره طعم شيء أو رائحته لا يكرههما غيره ، كل ذلك بحسب موافقته المعنوية له أو مخالفته ، كما قيل (من الكامل) :

ولقد نظرتُ إلى الملاح فلم أجد قلبي يحبّ من الملاح سواه
 ١٨ شيءٌ به تُسبى العقولُ سوى الذي يسبى الجمالُ . ولستُ أعلم ما هو

(٤/٥) وإذا تقرّر أن المحبة تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة أعني محبة الاحسان التي حاصلها يرجع إلى محبة الانسان ذاته ، ومحبة الجمال والكمال اللذان يرجعان إلى محبة ذات المحبوب ، ومحبة المناسبة ، فمن المعلوم أن من

اجتمعت فيه هذه الخلال كلها على التمام كانت المحبة له أشدّ والتعلق به أكمل ،
 مثل أن يكون محسنا دائم الاحسان كامل الذات جميل الصفات بينه وبين
 المحب مناسبة معنوية تدعو النفس إليه ، فلا محالة أن هذا يحبّ بالضرورة ، ٣
 إلا أن هذه الصفات لا توجد حقيقة على كمالها إلا في حق البارئ سبحانه ،
 وإنما توجد في سواه على طريق المجاز. أما الإحسان فهو المحسن على الحقيقة وكلّ
 إحسان في العالم من لدنه وُجد وهو واهبه وخالقه وإذا كان الاحسان محبوبا ٦
 لأنه يُستعان به على دوام الوجود والبقاء وقتنا ما فالحق تعالى هو معطي جميع
 الأشياء الوجودَ والبقاءَ دائما ، وأما الجمال والكمال فقد تقرر أن الكمال
 اجتماع الصفات المكملّة للذوات وهي كلها ترجع إلى العلم والقدرة والحق ٩
 تعالى هو العالم بجميع المعلومات على تفصيلها فما من كلّ شيء ولا جزئيّ إلا
 وأحاط به علما ، وكذلك قدرته تعالى شاملة لجميع المقدورات . وأما جماله
 سبحانه فقد عمّ جميع الموجودات ، فكل جمال في العالم العلويّ والسفليّ فمنه ١٢
 ظهر وبه وُجد وعنه أشرق على سائر الذوات ، وما تفرّق في جميع ذوات الوجود
 من الجمال فهو مستعار منه وموهوب عنه ، وكل جمال بالاضافة إلى جماله
 نقصٌ محض ، إذ لا يعطي الجمال إلا من هو أجمل منه ، بل هو القيوم الذي ١٥
 قامت به سائر ذوات الموجودات .

وأما المناسبة والمشاركة فهي تنقسم إلى ما يمكن كشف سرّه وإلى ما لا
 يمكن كشفه . أما ما يمكن كشفه فإن المناسبة التي بين العبد وربّه فإنما هي ١٨
 مناسبة القرب وذلك بالتخلّق بصفاته المعنوية من العلم والاحسان والرحمة
 واللطف وجميع النعمت التي أذن لنا في التخلّق بها ، وليس القرب من الله
 تعالى على معنى قرب الأجسام. وأما السرّ الذي لا يجوز شرحه ولا كشفه فهو ٢١
 المناسبة الباطنة التي يومئ إليها قوله تعالى: ﴿يَا دُلُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾
 (٣٨ ص ٢٦) فالخلافة لا تكون إلا باشتراك باطن ومناسبة باطنة بينهما ، وقوله
 تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي﴾ (١٥ الحجر ٢٩) ، وإنما استوجب الخلافة ٢٤

بذلك النفخ الإلهي ، وقال تعالى ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (١٧ «الاسراء» ٨٥) والأمر الرباني لا يمكن الاطلاع على حقيقته . وإلى هذا يشير قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم على صورته » وإنما أراد الصورة الباطنة المعنوية لا الظاهرة التي تكون للأجسام تعالى الله عن ذلك ، وقوله : « فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » . وقال تعالى فيما أوحى به إلى بعض أنبيائه « يا ابن آدم مرضتُ فلم تعُدني ، فقال : وكيف ذلك؟ قال : مرض عبدي فلان فلو عدته عدتني » . وهذه الإشارات كلها يجب أن لا تُشرح حقائقها لغير أهلها بل تترك تحت حجاب الغيرة حتى يصل إليها أهلها في أطوار أذواقهم . وإذا لم تجتمع هذه الأسباب كلها على الحقيقة إلا في الحق تعالى ، فلا محبوب على الحقيقة إلا هو ولا مطلوب سواه ، وكل محبة لغيره باطلة إلا ما أريد بها وجهه . (من الكامل) :

١٢ من لي سواك أحبةٌ أو أعشَقُ ولك الملاحاة والجمال المُطلقُ
ولكلّ حسنٍ أنتَ روحٌ وجوده وعليه من معنى بهائك رونقُ
ما القَدَمُ الطرف الكحيل وما اللَّمى لولاك تُشهد في حِلّاه وتُرمقُ
١٥ وجميع ما في الكون من مُستَحسنٍ فإلَيْكَ نسبته وباسمِكَ ينطقُ
رقتُ حواشي الحسنِ فيك فأهملهُ قتلى هواك وكلهم لك يعشقُ
من مات في دَيْرِ الهوى بك صبوةٌ نالَ الشهادة وهو حيٌّ يُرزقُ

١٨ (٥/٥) فصل : واعلم أن النفس الانسانية محلّ قابل لورود الصور المختلفة إما من ناحية الحسن وإما من جانب الغيب ، فما ورد من طريق الحسن فلا يكون إلا بواسطة أسباب تؤثر في النفس آثاراً ملائمة لها أو

٦ يا ابن آدم مرضتُ الخ : انجيل متى ٢٥/٣٦

- مخالفة ، فكل سبب أثير في النفس صورة ملائمة لها سُمِّي محبوبا ، وكل سبب أثير فيها صورة غير ملائمة لطبعها سُمِّي مكروها . والأثر الملائم إن كملت اللذة به استغنت النفس عن السبب ، وإن لم تكمل اللذة لا تزال ٣
- تطلبه لحصول اللذة بواسطته حتى يحصل لها الكمال ، وكماها أن ترد عليها الصور اللذيذة من عالم الغيب دون شيء من الخارج ، ولا يحصل الثاني إلا بعد حصول الأول غالبا . فالنفس على هذا محلٌ لهذه الصور لا غير ، ولا تكسب ٦
- أولا المعارف المكملّة لذاتها إلا من الخارج بطريق الحواس ، حتى إن من قد فقد الحواس فقد فقد كثيرا من العلوم الضرورية .
- فهذه أقسام المحبة في نفسها وبحسب جنسها . فلنذكر بعد هذا أقسام سالكيها ٩
- من المحبين والله المعين .

الباب السادس

في اقسام المحبين من السالكين

- ٣ (١/٦) اعلم أن السالكين لمقامات المحبة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :
- ٦ الأول قومٌ وصلوا إليها من طريق الحسّ والخيال ولم يجاوزوها ، الثاني قوم وصلوا إليها من طريق الحسّ والعقل جميعا ، الثالث قوم وصلوا إليها من طريق العقل خاصّة متجاوزين لما قبله .
- ٩ **أما القسم الأول** فموضوع محبتهم عالم الأجسام وحسن صورها وبديع أشكالها لا غير ، ولا تجاوز محبتهم عالم الخيال الباطن ، فهو لاء مفتونون بتناسب الهيئات وجمال رونق المراثيات ، وبدائع غرائب صنعة المخلوقات ، وفي هذه المحبة يُستعمل كثير من رسوم المحبين من العوامّ مثل القرب والبعد الحسيّين .
- ١٢ وكذلك الوصل والفصل والغيبة والحضور والحجاب والتجلي والفراق واللقاء وسائر أعراض الجسوم ، إذ لا يعقل أربابها إلا عوارض الجسّم دون المعاني التي هي أرواح الأجسام . فلذلك نجد أرباب هذه المحبة قد أفنوا أعمارهم في ندب الربوع الدارسة والبكاء على الأطلال الطامسة والحنين إلى عَرَصات الديار ، والتلهّف على الكُثبان والأحجار ، شوقا إلى ربّات الحجال ، ووجدوا على ذات الخال والخلخال ، فقلوبهم بنار الوجد على المغاني محترقة ، ودموعهم إثر الطاعنين مستبقة ، يتزايد وجدهم عند رؤية الهوادج تحملها الجِمال ، ويتجدّد

١٤ ندب : في الاصل « ... ب » وصدر الكلمة مقطوع

- غرامهم لمعاينة الآثار بين أحجارٍ ورمال ، كل هذا من غلبة الوهم والخيال ، فإن الوهم يخيل لهم أن عين الجمال المطلوب هو حسن الهيئة الحالة في الأجسام وليس وراء ذلك شيء ، فاستحوذ هذا الوهم عليهم حتى عشقوها ، ٣ وأتلفوا نفائس نفوسهم فيها ، فأعماهم عشقهم لها عمّا وراءها من الجمال الحقيقي المتجلي عليها الذي هو رسول عالم القدس إلى النفوس الزكية ، فقد طلبوا الأشياء من غير محلها ، فهم كما قيل (من الطويل) : ٦
- وهل يترجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الأثافي والرسوم البلاقع وفي هذه المحبة يقع كثير من التخليطات والشبهات لما يقارنها في بعض الأحوال . (من الكامل) : ٩
- وكفاك أني للنوائب عاتب ولصم أحجار الديار مكلّم ومن الغباوة في الصباية أني مستخبر عنهن من لا يفهم وعند العوام من مطاوعة المنازع البهيمية ، وارتكاب المناهي الشرعية ، ١٢ - وهي تزيد باللقاء وتنقص بالخفاء ، وما أسرع زوالها عند الموت وأقل غناءها في الآخرة ! قال تعالى : ﴿ الأخیلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين . ﴾ (٤٣ « الزخرف » ٦٧) - والوقوف معها حجاب عن الحقائق الإلهية . ١٥
- حكى أن بعض العارفين رأى رجلا يبكي على قبر ، فسأله عن بكائه فقال : إن صاحب هذا القبر كان لي محبوبا فلما مات لم أستطع صبرا عنه ، فقال له : يا هذا أنت ظلمت نفسك حين أحببت من يموت فلو أنك أحببت ١٨ من لا يموت لم تتعذب بفراقه . (من الكامل) :
- يا قلب كيف علقْتَ في أشراكهم ولقد عهدتكَ تفلتُ الأشراكا أهوى وذلاً في الهوى وطماعة أبدا تعالى الله ما أشقاكا ٢١

لا تشكُونَّ إليَّ وَجَنَدًا بَعْدَهُمَا هذا الذي جَرَّتْ عَلَيْكَ يَدَاكَ

غيره (من الكامل) :

٣ نُوْبُ الزَّمانِ كَثيرةٌ وَأَشَدُّها شَمْلٌ تَحَكَّمْ فيه يَوْمُ فراقِ
يا قلبِ لِمَ عَرَضْتَ نَفْسَكَ لِلهَوَى أَوْما عَلِمْتَ مِصْراعَ العُشاقِ

وأحوال هذا الصنف من عشاق مجرد الجسم معلومة ولا حاجة بنا إلى الاطناب

٦ في وصف أحوالهم .

(٢/٦) فصل : وأما القسم الثاني من أقسام المحبين وهم الذين وصلوا

إلى المحبة من طريق الحسّ ثم بعد ذلك بلغوا إلى إدراك العقل ولم يقفوا مع
٩ عالم الخيال بل جاوزوه ، وهم الأكثر من خواصّ السالكين ، فمحبوبُ هذا

الصنف الجمال المعلق بمحلّه ، ثم بعد الامعان في المعرفة يجرّدونه عن محلّه ،

وذلك أن البصر إذا ودّى الصورة الحسّية إلى الخيال على ما هي عليه من

١٢ العلائق الجسمية يجرّدها الفكر عن العوارض الغريبة وينقل أرواحَ معانيها إلى

النفس فتلتذّ بها إذ ذاك ، ولكن لا تكتفي بما حصل فيها من هذه الصورة

الروحانية بل تطلب كمال المعنى الذي أدركته من محبوبها من الخارج بطريق

١٥ البصر ، ولا ينقطع هذا الطلب عنها ما لم يحصل لها الاتحاد بالصورة . وهذه

المحبة وَسَطٌ بين الطرفين ، فهي شريفة من حيث حصول حقائقها في النفس

والتلذّذ النفس بها لذّةٌ هي أعظم من لذّة قوى البدن ، وكثيرا ما تُفْضي إلى

١٨ ذوق الصنف الثالث ، وهي أيضا ناقصةٌ من حيث أنها متعلقة بشخص معيّن

مقصورةٌ عليه تزيد لذّتها بحضوره وتنقص بغيثته ، والنفس غير متكيّفة بما

حصل فيها من المعنى المُدرَك ، كما قيل (من الرمل) :

شربتُ الحبَّ كأساً بعدَ كأسٍ فما نَفِدَ الشرابُ وما رويتُ

- ولهذه المحبة شروط وعلامات : فمن علاماتها ايثار المحبوب على ما سواه ، ٣
فإنه لو علم أن في العالم من هو أكمل من محبوبه صفة أو أتم محاسناً لَصَرَفَ
عنان محبته إليه . ويلزم عنها أيضاً فراغ القلب مما سوى المحبوب وبذل النفس
في جانب محبته ، فلا يبقى فيه للغير شيء ولا لنفسه أيضاً ، بل يكون إقباله ٦
عليه بالكلية ، وهذا هو حال الجمع والحضور ، كما قيل (من الوافر) :

أَحِبِّكَ لَا يَبْغِضِي بَلْ بَكَلْتِي وَإِنْ لَمْ يَبْقِ حُبُّكَ لِي حَرَكَاتَا
وَيَقْبُحُ مِنْ سِوَاكَ الْفَعْلُ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ ٩

ثم يستوي عنده العزّ والذلّ ، والمنع والعطاء ؛ وسائر الأفعال التي يراها
غيره متضادة فيراها هو حسنة كلها بل يراها واحدة لصدورها عن محبوب
واحد . ١٢

- وأما كيفية الترقى عن هذه المحبة إلى ما هو أعلى منها لمن أمدّه الله
بتوفيقه وذلك بأن يعلم بأن صورة المحبوب الحقيقية إنما هي الصورة التي
حصلت عنده منه ، فإن رسوم الجسم أمورٌ عارضة عرضت لتلك الصورة ١٥
وإنها لو فارقتها الصورة لما كانت شيئاً ، فإذا تصوّر هذا تعلق بالمعنى الذي
استغنى به عن الأمور العرضية إلى أن تنطبع هذه الصورة المجردة في نفسه
وتتمتج بها امتزاجاً عشقياً ، فتسلطف النفس بذلك وتستنير فتقبل الأنوار ١٨

٢ شربت البيت : رسالة القشيري (١٣١٨) ٤٦ و ١٧٣ (باب المحبة) ، وإحياء علوم
الدين (١٣٣٤) ٣٠٨/٤ (خاتمة كتاب المحبة)

٤ محاسن : كذا في الأصل

٨ - ٩ احبك البيهقي : الثاني في الجمع للمراج (لندن ١٩٠٤) ٢٩٨

العلوية ، وتبصر الصور الروحانية في ذاتها ، ولا تزال تتعلق بالأشرف
فالأشرف حتى تبلغ إلى ما قُدِّرَ لها من ذلك . (من الخفيف) :

٣ مِمَّا لَمَجْنُونٍ عَامِرٍ فِي هَوَاهُ غَيْرُ شَكْوَى الْبِعَادِ وَالْإِغْتِرَابِ
وَأَنَا ضِئْدُهُ فَإِنَّ حَبِيبِي فِي فَوَادِي فَلَمْ أَزَلْ فِي اقْتِرَابِ
فَحَبِيبِي مَنِّي وَفِي وَعِنْدِي فَلَمَّاذَا أَقُولُ مَا لِي وَمَا بِي

٦ (٣/٦) وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّالِثُ مِنْ أَقْسَامِ الْمُحِبِّينَ وَهُمْ الَّذِينَ لَاحِظُوا الْجَمَالَ
الْقُدْسِيَّ الْمُتَجَلِّيَّ لِنَفْسِهِمْ مِنَ الْعَالَمِ النُّورَانِيِّ فَقَبْلَتَهُ نَفْسُهُمْ لِمُنَاسِبَتِهَا إِيَّاهُ فَانْطَبَعَتْ
فِيهَا صُورَتُهُ انْطِبَاعَ صُورَةِ الشَّمْسِ فِي مِرْآةٍ نُورِيَّةٍ ثُمَّ تَكَيَّفَتْ النَّفْسُ بِذَلِكَ
النُّورِ وَتَجَوَّهَتْ بِهِ فَأَبْصَرَتْ ذَاتَهَا النُّورِيَّةَ وَمَا بَهَا مِنْ آثَارِ الْعَالَمِ النُّورَانِيِّ
٩ فَأَحْبَبَتْهَا مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ هِيَ ذَلِكَ النُّورُ الْقُدْسِيُّ . (من الكامل) :

سَفَرَتْ عَنْ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ فَأَسْفَرَا فَبَدَا هَلَالُ الْحُسْنِ مِنْهَا مُقْمَرَا
وَدَنْتْ فَكَاشَفَتْ الْقُلُوبَ بِسَرِّهَا فَسَقَّتْ شَرَابَ الْوَصْلِ مِنْهَا كَوَثَرَا
١٢ فَشَرِبَتْ رَاحَ الرُّوحِ كَأَسَا مُتَرَعَا وَلَبِستُ سِرَّ الْحُسْنِ ثَوْبَا أَحْمَرَا
وَرَأَيْتُهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ حَتَّى صِرْتُ كُلِّي مُبْصَرَا

١٥ وهذه المحبة هي النهاية وما قبلها من مقامات المحبة مُرَادَةٌ لَهَا وَمُوصَلَةٌ
لِإِلَيْهَا ، فَإِنَّهَا إِذَا قُصِدَ بِهَا الْحَقُّ صِفَةُ الْمُقَرَّبِينَ ، وَمَقَامُ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ،
وَهِيَ مَطْلُوبُ الرِّجَالِ ذَوِي الْعِرْفَانِ التَّامِّ وَالْكَمَالِ ، وَالْمَشْرَبُ الصَّفْوِ الزَّلَالِ ،
١٨ عَزَّ جَانِبُهَا عَنْ أَنْ يَدَّعِيَهَا أَهْلُ الْبَطَالَةِ ، أَوْ يَتَعَاطَى الْخَوْضَ فِيهَا أَرْبَابُ الْجَهَالَةِ ،
وَلَا وَصُولَ إِلَيْهَا إِلَّا بِغَايَةِ الرِّيَاضَةِ الْقَلْبِيَّةِ الْمُقَرُونَةِ بِالْإِعَانَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَإِذَا هِيَ
حَصَلَتْ لَا يُخَشَى زَوَالُهَا وَلَا يُخَافُ انْتِقَالُهَا ، لِأَنَّهَا مَنْزَعَةٌ عَنِ الْأَعْرَاضِ .

(من الكامل) :

اللهُ يعلمُ لو طلبتُ زيادةً في حُبِّ عزّة ما وجدتُ مزيداً

- ٣ (٤/٦) ومن هذه المحبة تُفَسِّهُم محبة الحق تعالى للعبد المأخوذة من صريح قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (٥ «المائدة» ٥٤) فدلّ بها على أن محبته تعالى لهم هي السابقة لمحبّتهم بل هي شرط فيها، ومعنى محبته تعالى لعبده تيسيره لطلب محبته وتوفيقه لمعرفة، فلولا تيسيره لمحبه لما أحبه، ولولا دلالته على معرفته لما عرفه، ومن أين للعدم المحض معرفة واجب الوجود لولا ذلك! (من الكامل) :
- لَمَّا انْتَسَبْتُ إِلَى حِمَاكَ تَعَرَّفْتُ جِهَتِي فَصَرْتُ أَنَا وَإِلَّا مَن أَنَا

- ٩ (٥/٦) وأما محبة المخلوق فمعناها ميل نفس ناقصة إلى إدراك ما في إدراكه كمال "مّا كلي" أو جزئيّ ليحصل بهذا الميل الكمال الذي فقدته من ذاتها، إذ في جوهرها محبة الكمال والتطبيع به إلى أن تبلغ فيه إلى نهاية ما قُسم لها . وإذا كانت هذه المحبة الانسانية بهذه الصفة فمحبة الله تعالى لعبده ليست كذلك ، إذ كل جمال وكمال وبهاء وجلال ودوام وبقاء في العالم مستفاد منه وموجود به، فلا يكون منه التفات إلى غيره من حيث أنّه غيره لاستغنائه بكمال ذاته عن كمال غيره ، فليس له نظر إلا إلى ذاته ولا محبة إلا لها ، ولكن إذا نظرت ١٥ نظر تحقيق إلى الوجود كلّهُ لم تجد فيه شيئاً إلا ذاته تعالى وأفعاله ، فهو الكلّ وما سواه عدم في الحقيقة ، وإذا كان العالم كلّهُ فعل الله وأحبه فما أحبّ على الحقيقة إلا ذاته لوجود الأفعال كلها به وعنه . ١٨

٢ الله يعلم البيت . . لكثير عزّة ، شرح ديوان كثير نشر هنري پيرس (باريس ١٩٢٨ -

١٩٣٠) ٦٥/١

ولذلك لما قرئ على الشيخ أبي سعيد الميهني قوله تعالى « يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » (٤٥ « المائدة » ٥) قال بحقَّ يُحِبُّهُمْ فإنه لا يحبُّ إلا نفسه على معنى أنه الكلُّ فهو المحبُّ وهو المحبوب وليس للأشياء من ذواتها إلا العدم ،
والوجود المطلق الحقيقي للحقِّ تعالى كما قيل (من الرمل) :

ما لنا مِنَّا سوى حال العدمِ ولِبَسَارِينَا البقاءُ والقِدَمُ

وإذا تقرر أن محبة الله تعالى لعبده هي الحقيقة وبها تكون محبة العبد ولو لم تكن لم يكن في العالم محبة أصلاً فهي النسبة الكبرى التي إليها تنتهي كل نسبة علواً وسفلاً وبها يوصل إليها ويُستدلُّ عليها . (من الخفيف) :

ما بدأ فهو وجههُ والذي غاب أعظمُ
هو لا شكَّ ظاهرُ فهو بادٍ مُكْتَمُ
لا تقلُّ كيفَ لي بهِ فيهِ عنهُ تفهمُ

١٢ (٦/٦) فصل : واعلم أن الحقَّ تعالى تجلَّى لعباده في كل شيء فهم يشهدونه في كل مشهود ، ويطالعونه مع كلَّ موجود ، وذلك عند فناء ذواتهم في مشاهدة ذاته ، لا بمعنى الحلول الذي هو من صفات المحدثات ،
١٥ فعند فناء العبد وذهابه عن نفسه يشهد ربّه كأن الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان . وعلى هذا يُحمَلُ سائر اطلاقات المحبِّين إذا غلبت عليهم صفات الانس وسكر الأحوال ، لا على معنى الحلول اللائق بالأجسام ، كما قال
١٨ الحلاج (من الرمل) :

أنا مَن أهوى ومَن أهوى أنا ليس في الكون سوى مَن هو أنا

١٩ ديوان الحلاج ٩٢، ١٩٣١ Journal Asiatique ورواية المصراع الثاني المشهورة هكذا :
نحن روحان حللنا بدنا

أو كما قال بعض العارفين من مشايخ الصوفية (من الوافر :)

- أنا القرآنُ والسبع المثاني وروح الروح لا روح الأواني
 ٣ فؤادي عند مولاي مُقيمٌ ينجيه وعندكمُ لساني
 فلا تنظُرْ بطرفك نحوَ جسمي وعدّي عن تلقّيك المغاني
 وغُصْ في بحرِ ذاتِ الذاتِ تُبصرُ عجائبَ ما تبدّت للعيانِ
 ٦ وأسراراً مُهَيَّمةً حسانا مُسترةً بأرواحِ المعاني
 فَمَنْ فَهَمَ الإشارةَ فليصُنّها وإلا سوف يُقتلُ بالسنانِ
 كحلّاجِ المحبة إذ تبدّت له شمسُ الحقيقة بالتداني
 ٩ فقال أنا هو الحقّ الذي لا يُغَيّرُ ذاته مرّة الزمانِ

فهذه أحوال السالكين ومقاماتهم من حيث الجملة ، ونحن نورد منها طرفاً على معنى التفصيل والشرح ننبّه فيها على ذوقهم ، ونستدلّ على شرف منازلهم بقدر ما يليق بهذا الكتاب ، فبيننا فيه القول على الاختصار والإيجاز . ١٢

٢ - ٨ لابن العربي : ارجع إلى ديوان الحلاج 6-135, 1931 J. A [والرواية هناك تخالف رواية ابن الدباغ في مواضع] .

الباب السابع

في مقامات السالكين واحوال العارفين

- ٣ (١/٧) اعلم أن المقام عند المحققين هو الملكة الثابتة لِمَا يَنَازِلُهُ السَّالِكُ من الصفات ، والحال عندهم عبارة عن تأثر القلب بالواردات من المحبوب ، إلا أن ذلك سريع الزوال ، ولهذا قالوا : « أَلْفَ حَالٍ لَا يَحْصِلُ مِنْهَا مَقَامٌ وَاحِدٌ » . والاعتماد في السلوك على المقامات والملكات لا على الأحوال . ٦
- فصل في الشوق** ومعناه حركة النفس إلى تتميم ابتهاجها بتصور حضرة محبوبها ، وهو من لوازم المحبة ، إذ النفس تشاق أبداً لمن تحب . وأما كيفية وجوده فاعلم أن ما لا يدرك حقيقةً بوجهٍ لا يُشْتَقُّ إليه ، وما أدرك من جميع جهاته لا يُتَصَوَّرُ أيضاً الشوق إليه ، لأنه حاصل بالكلية والحاصل لا يُطْلَبُ ، وإنما يكون الشوق لمن عُلِمَ من طرف وجَّهٍ من طرف آخر ، ٩
- ١٢ فإن المُحِبَّ تُحَرِّكُهُ لَذَّةُ مَا أَدْرَكَ لَطْلُبَ مَا لَمْ يَدْرِكْ . ومثال ذلك أن من أدرك بعض صفات محبوبه وعلم يقيناً أن له صفات غيرها هي أكمل من التي أدرك وأن لذة إدراكها أتم من لذة إدراك ما حصل عنده ، فإن شوقه يحركه إلى طلب ما فاتته ليلتذّ بذلك ، وتحصيل اللذة مطلوب وهي تابعة للإدراك . ١٥
- فهذا الشوق لا يسكن ولا في الدار الآخرة ، إذ كمال المحبوب لا ينتهي إلى حدٍّ ؛ فالشوق إلى تحصيل هذا الكمال لا ينقطع أبداً . (من الطويل) :
- ١٨ فَوَا عَجَبًا مِنْ غُلَّةٍ كَلِمَا ارْتَوَتْ مِنْ السَّلْسِيلِ الْعَذْبِ زَادَ ضِرَامُهَا

وبردِ رُضابٍ سلسلٍ غيرَ أنَّهٗ إذا شربتهُ النفسُ زادَ هيَّامُها

- أو يكون معنى الشوق أن من أدرك صفات محبوبة إدراكا غير كامل فإنه يشتاو، إلى تكميل ذلك الإدراك . ومثاله أن من عاين محبوبة في غيم رقيق على ٣ هيئة ما ثم علم أن ذلك الغيم هو المانع عن كمال الإدراك وأنه ينقشع فهو يشتاو إلى كمال الرؤية عند زوال المانع ، وزيادة شوقه بقدر تطلُّعه إلى زيادة الوضوح والكشف في المشاهدة . (من الوافر) : ٦

وأبرحُ ما يكونُ الشَّوقُ يومًا إذا دَتَّتِ الحِيَامُ من الحِيَّامِ

- واعلم أن المحبَّ ما لم يصل إلى مقام الاتحاد لا تنقطع الحجب التي بينه وبين بوبه ، فإنها كثيرة لكن بعضها ألطف وأشدَّ نورانية من بعض ، ٩ وكلما كُشف له منها حجاب تاقت النفس إلى كشف ما بعده حتى تزول جميعها عند الاتحاد ، إذ هي عاتقة عن حقيقة المشاهدة ، وآخرها حجاباً رؤية المحب ذاته في مشاهدة محبوبة ، إذ ملاحظته لها حجابٌ وشوبٌ في المشاهدة ، ١٢ فإذا ارتفع ذلك بالفناء عنها وعن فنائه عنها شاهد المحبوب على ما هو عليه ، وإن لم يفنَ هذا الفناء فلا يشاهد محبوبة إلا بقدر ما يليق بإدراكه ، لا بقدر كمال المحبوب في نفسه ، إذ لا يدرك كمال المحبوب سواه ، فما دام ثم ١٥ البسوا لم يصل إلى حقيقة الكمال في المشاهدة . وإذا كانت هذه المشاهدة على كمالها فليس في الوجود ألذَّ منها ولا أعظم ولا أجل ، وقل ما تسلم من الشوائب في هذه الدار ، فإذا حصل هذا النوع من المشاهدة سكن زاعج الشوق ١٨ المُقلق الذي هو محل الألم وبقيت حالة تُسمَّى حالة الاشتياق ، وهي صفة لازمة للمحبة في ضمن ذاتها ، وهي لذَّةٌ محضة لا الم فيها بخلاف الشوق ،

٧ وأبرح البيت : رسالة القشيري (١٣/٨) ١٧٦ (باب الشوق) والفتوحات المكية ٣٤٠/٢ و ٣٩٣/٣ [وفيها « الديار » بدل « الحيام »]

إذ هو يحرك النفس تحريكاً عنيفاً حتى تصل إلى تلك الحال الكاملة ولا تقنع بشيء دونها ، وهي المشاهدة الحقيقية . (من الطويل) :

٣ أعانقها والنفسُ بعدُ مشوقةٌ لَليها وهل بعدَ العناقِ تداني
وألثمُ فاها كي تزول صباي فيزداد مآ ألقاهُ بالرفشانِ
فيا مَنْ لنفسٍ ليس يشفي غليلها سوى أن يرى الرّوحانِ يلتقيانِ

٦ (٢/٧) تنبيه : واعلم أن الصفات الواردة من المحبوب وإن كانت

لا تنحصر كثرةً ، إذ هي تتعاقب على الساعات ، وتختلف باختلاف الحالات ، فإنها ترجع بالجملة إلى ثلاث صفات : صفة جمال وصفة جلال وصفة كمال .

٩ فمن تجلّى له محبوبه بنعوت البهجة للنفوس من الجود والاحسان ، والرحمة والامتنان ، والعطف الشامل ، واللفظ الكامل ، ورفع الحجاب ، وتيسير

١٢ أسباب الاقتراب ، وسائر الصفات البهية ، الجليّة النورية ، والنعوت المبهجة النسبية الموجبة للانبساط والأنس واللذة والسرور فيقال إنّه مشاهد لصفات

الجمال . ومن تجلّى له بنعوته الواجبة له من العزّ والقهر والعظمة والجبروت والسطوة والقدرة والاستيلاء ونظر إلى نفسه فرآها فقيرة

١٥ مقهورة ناقصة ذاهبة في عزّ كبريائه وقهر سلطانه فوجد لذلك في نفسه من الدهش والذهول ما يكاد يطمس معالم ذاته ، ويؤفني رسوم صفاته ، فيقال

١٨ إن هذا مشاهدٌ لصفات الجلال . ومن تجلّى له بصفاته التي لا تليق إلا به من العلم والقدرة والانفراد بالخلق والإيجاد والغنى المطلق والقيومة التي قام

بها سائر الموجودات وعلم ما له من السنا والبهاء والنور الفائض على سائر الموجودات ، وإن ظهورها كلها به ووجد في نفسه بذلك من المحبة والشوق

٢١ إلى كمال المعرفة به ما لا يعلم حقيقته إلا بارئته ، فيقال إن هذا مطالعٌ لصفات

٣-٥ لابن الرومي. ديوان المعاني لابي هلال العسكري (مصر ١٣٥٢) ٢٢٣/١ بخلاف في الألفاظ

الكمال . فصفتات الجمال توجب الانبساط والأنس ، وصفات الجلال توجب الفناء والمحو ، وصفات الكمال توجب المحبة والشوق . ولهذا قالوا : « من كوشف بصفات الجمال عاش ومن كوشف بصفة الجلال طاش » . وبسط^٣ القول في هذه الصفات لا يليق بنا شرحه ، فإن القول لا تسع أكثر من هذا . (من الوافر) :

وجودي أن أغيب عن الوجودِ بما يبدو عليّ من الشهودِ ٦
وما لي في الوجود كثير حظٍّ ولكن وجدُّ موجودِ الوجودِ

(٣/٧) فصل في الأنس ومعناه سرور القلب بشهود جمال الحبيب ،

من غير استشعار رقيب ، بل مع الغفلة عن الماضي والمستقبل . وهذه الحال ٩
توجب انتعاش المحب وفرحه بطيب عيشه وصفاء وقته ، فإنه بما فيه من
البهجة والطرب الروحاني يُخيّل له أن جميع الكائنات تشاركه في صفاء وقته
وطيب حاله ، فهو يشاهد حالته تلك في تفتّح كيمام النور ، وتبلّج ثغور ١٢
الأزهار ، وتوريد خدود النعمان ، وانعطاف قدود البان ، ولطافة مرّ النسيم ،
وطلاقة مرأى الوجه الوسيم ، فيقول لسان حاله (من البسيط) :

يا صاحبيّ قضيب البانِ ريانُ والبدرُ ملتحفٌ والصبحُ عريانُ ١٥
والترجس الغضّ ساهٍ والغمامُ نديٌّ والطللُ في طُرُز الریحانِ حيرانُ
فغالبًا نعتي بالكأس واختلسا لبّي فقد نفح النسرینُ والبانُ

واعلم أن هذه الحال قلّ ما يسلم فيها صاحبها من عوارض الدعوى ١٨
والادلال ، فيُخافُ عليه السقوط من مقامه الذي هو فيه لغيرة المحبوب على
إظهار أسرار المحبة ، ولا تُقال للمدلّ في ذلك عثرةٌ وإنما يُعذّر السكران
لا صاحب الدعوى . (من الطويل) :

٢١ وما السرّ في الأحرار إلا وديعةٌ ولكن إذا رقّ المدام فمن يقوى

إذ الأصل أن إفشاء سرّ الله تعالى كفرٌ فأما المؤيّد بالتوفيق الإلهي فإنه كلما نازل هذا المقام تأكّد لزومه للأدب ولم يفارقه التعظيم ، ومن لم يحفظ شروط هذا المقام كان على خطر ، وكما قال بعضهم : « بلغنا في هذا الأمر إلى ما هو أحدٌ من السيف إن ملّنا هكذا ففي النار » .

وقد يوجد في خواصّ أهل الاصطفاء من لا يضرّه شيء من هذه الأمور التي يُظهرها سكر الأحوال ، فإن الحقّ تعالى حفظ عليهم أحوالهم كما أخلصهم من جميع الشوايب ، فهم سُكّارى بحبه على الدوام يتيهون في روضات الجمال ، وتتجلّى لهم محاسن عرائس الوجود من وراء ستور ربّات الحجال ، تُشرق الآفاق بأنوارهم ويتجمل الوقت بآثارهم ، وتتأرجح بنسيم عرفانهم الأكوان ، ويتحلّى بهم جيد الزمان ، يهيمنون بحبه في كل الجهات ، ويتملقون إليه في الخلوات ، فربّما أنشد منبسطهم على بساط الإدلال ، عند معاينة ذات الجمال ، وارتفاع حجب الضلال (من الكامل) :

هَبَّتْ رِيَّاحٌ وَصَالَهُمْ سَحَرًا بِحَرَائِقٍ لِلشَّوْقِ فِي قَلْبِي
فَاهْتَزَّ غُصْنُ الْوَجْدِ مِنْ طَرَبٍ وَتَنَاثَرَتْ ثَمَرٌ مِنَ الْحَبِّ
وَبَدَّتْ شَمُوسُ الْوَصْلِ خَارِقَةً بِشِعَاعِهَا لِسُرَادِقِ الْحُجُبِ
وَصَفَقَا لَسًا وَقْتُ أَضَاءَ بِهِ وَجْهُ الرِّضَا عَنْ ظِلْمَةِ الْعَتَبِ
وَبَقِيَتْ لَا شَيْءٌ أَشَاهِدُهُ إِلَّا ظَنَنْتُ بِأَنَّهُ حَبِيبِي

وهذه الحالة ربّما غلبت على بعض المحبّين حتى تُخرجه إلى الافراط في الادلال فتصدر منه أحوال وأقوال يظنّ الجاهلون أنها كفرٌ أو زيغ ، فليس كذلك بل يجد فيها من ذاقها من الزيادة في صفاء وقته أمراً لا يلتفت < معه > إلى أقاويل المنكرين ، ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ (١٠ «يونس» ٣٩) وتُسمّى

٣ بلغنا الخ : قول الجنيد

٦ كما : في الأصل « لما »

- تلك الأقوال بلسان أربابها شطحا، ومنها الأقوال الماثورة عن الحلاج رحمه الله وغيره مثل العارف أبي يزيد البسطامي حيث قال : « أنا الحق » أو قال مرة « سبحاني » . وكثير من أرباب هذا الذوق من يحفظه الحق تعالى في حال ٣ سكره فلا يصدر منه ما يخالف ظواهر الشرع حتى يفتقر إلى التأويل ، وهم أهل التمكن في الأحوال ، فإنهم لا يتركون ملازمة الأدب طرفة عين . قال بعضهم : « قف على البساط وإياك والانبساط » وقال غيره : « فُتِحَ عليَّ ٦ بابٌ من البُسْط فزلت زلّةً فحُجِبَت عن مقامي أربعين سنة » . ومن علامات صاحب الأنس أن تستوي عنده الحلوة والملأ ، والغربة والوطن ، فلا يجد وحشة مع محبوبه . إذ هو يشاهده في جميع الكائنات ، فيرى الوجود كله مواضع آثاره ، ومعالم أخباره ، ومواقع أنواره ، ومعادن أسرارهِ . (من الخفيف) : لمَعَتْ نارُهُمْ وقد عسعس الليُّ لُ وضجَّ الحادي وحرَّ الدليلُ ٩ فَتَأَمَّلْتُهَا وقلتُ لصَحْبِي هذه النارُ نارُ ليلَى فمِيلُوا ١٢

- وعندما يستروح المحب إلى نسيم الجمال ، وتستتر عنه لمواع بروق الجلال ، يستريح إلى تقبيل الآثار ، ويسأل الرسوم عن الأخبار ، ويطوف بالأطلال ، ويكثر الوقوف بها والتسأل ، لتشهد النفس من مرابع أحبابها ، ١٥ وملاعب أترابها ، ما يكون مُذكرا لها بالسُكَّان ، فلتستدل على الأثر بالعيان . ومن شيم النفوس الحرة الحنين إلى مآلف الصبا ، والتعرض لنفحات الضنا . والشوق إلى معاهد عَمَرَتها مع الأحباب ، وجرت في عَرَصاتها برود الشباب مع الأتراب . (من البسيط) :

تهفو إلى البانِ من قلبي نوازعه وما بيَ البانُ بل مَن دارهُ البانُ

٣ وكثير : في الأصل وكثيرا

١٠ معالم : في الأصل « ملب »

١١ وضج : في الأصل « وصج »

وقد جرت العادة الإلهية ، والحكمة الربانية ، بارتباط الأنوار بالهياكل ،
والأرواح بالأجسام ، والمعاني بالقوالب ارتباطاً لطيفاً بكثيف ، وعال
بسافل ، ليدلّ الأدنى على الأقصى ، والظاهر على الباطن . فلذلك يستدلّ
المحبّ بالدار على الساكن .

وإذا نظرتُ تحقيقاً بنوع آخر من النظر وجدت الربوع التي هي محلّ
الحبيب أكناف القلب ومحلّ أنواره ، لارمل اللوى ومعاهد كثنائه ، ومساقط
أحجاره ، وتجد المحبّ على الحقيقة هو الذي يتجلّى له محبوبه من آفاق
ضمايره ، وأكناف خواطره ، فيقول (من الطويل) :

٩ إذا اشتقتُ مغناكم نظرتُ إلى قلبي فأنتم به عند التباعد والتقرب
أحنّ إلى رمل اللوى من دياركم ولولاكم ما اشتقتُ يوماً إلى التربّ

ثم تنظر نظراً آخر فتجد عنده هذه الأشياء كلها ظاهراً وباطناً فتعتقد
١٢ أن الرسوم الخارجة مُذكّرة بالمنازل القلبية والمواطن الروحانية ، وترى أن
في رؤية هذه الظواهر تأثير معنى في السرائر . ولهذا جاء الشرع باحترام ظواهر
تُشير إلى معانٍ شريفة ، وأرواح لطيفة . منها احترام المصحف لدلالته على
١٥ معاني كلام الله تعالى ﴿ لا يمسّه إلا المطهّرون ﴾ (٥٦ « الواقعة » ٧٩) ، ومنها
الحجر الأسود لكونه يمين الله في الأرض ، والكعبة لكونها بيته ، وإن كانت
ظواهر هذه الأجسام ، لكن تأثير القلب بمعانيها لا يخفى . (من الطويل) :

١٨ ولما تَبَدَّى لي من السجف حاجبٌ ومقلةٌ ليلتي من وراءِ نِقابِها
بعثتُ برسُلِ الدمعِ بيني وبينها لتأذن في قربى وتقبّل بابها
فما أذِنَتْ إلا بإيماضِ طَرْفِها ولا سَمَحَتْ إلا بلمِّ ترابها

٢١ وإذا استولت المحبة على قلب المحبّ ، وسكر من صفو مُدامها ، وتردد
في أودية غرامها ، وأحرقته لواعجُ الشوق المُقلق ، والوجد المُحرق ، استراح

لكل شيء له أدنى تعلّق بالمحبوب وتشبّث بكلّ سبب يتوهم أنّه يوصل
إلى المطلوب . فيتعلّل بلمعان البروق . ويُدّاوي بهبّات النسيم قلبه المشوق ،
ويستسقي الغمام لعرضات الديار . ويأثم من شغفه الرسوم والآثار ، ولا سيما ٣
إذا سلّب القرار ، وأعوزه الاضطراب . (من الطويل) :

بوادي الغضى لاقيتُ ليلي مقيمةً فمَن لي بها يومَ الطّوافِ أراها
أحجَّ إليها لا إلى البيتِ قاصداً أقبلُ تُربّ الأرضِ حينَ تطاها ٦

فإذا صحا المحب من هذه السكره . وأفاق من هذه الحيرة ، رأى أن
النظر إلى ظواهر الأطلال عائقٌ له عن مشاهدة ذات الجمال ، وأن الالتفات
إلى المحسوسات نقصٌ في مشاهدة الذات فحينئذٍ يقول (من البسيط) : ٩

لا كان وادي الغضى لا ينزلون به . ولا الحيمى سَحّ في أرجائه مَطَرُ
ولا التسيّم وإن رقتْ شمائلُهُ إن لم يُعيدْ نشركم لا ضمه شَجَرُ

فالمحبّ على هذا بين صحوٍ وسكر حتى يصل إلى التمكن في مقامه . ١٢

(٤/٧) فصل في الرضى : أما الرضى فإنّه من مقامات السالكين ومعناه

غيبة المحبّ عن الإحساس بالألم مع كَون صورته عنده في الطبع ، والصبرُ
تحملُ المشقة في جنب المطلوب مع الشعور بالألم . وكلاهما حجاب عن حقيقة ١٥
المحبة إذ حقيقة المحبة أن يفرح المحبّ بجميع ما يصدر من محبوبه حتى الهجر ،
لا من جهة أنّه بُعدٌ عن المحبوب بل من جهة أنّه مراده خاصة ، كما قيل
(من الكامل) : ١٨

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتَ فليس لي مُتأخّرٌ عنه ولا مُسَقِّدَمُ
أجيدُ الملامة في هواك لذيدةٌ حبّاً لذكرك فليستُ مني اللومُ
أشبهتُ أعدائي فصرتُ أحبّهم إذ صار حظّي منك حظّي منهم ٢١

وأهتتني فأهتت نفسي طائعا ما من يهون عليك ممن يُكرم

وهذا يُسمّى حُبّ الحبّ أي حبّ ما يحبه المحبوب ، لأنّه إذا أحبّ مجرد الوصل فقد آثر حظ نفسه على مراد محبوبه ، وإن أحبّ الحجر فقد أحبّ البعد عن الحبيب وهو مناقض للمحبة ، لكن يحبّ تساوي الأمرين عند رضى الحبيب بهما لا غير ذلك ، كما قيل في هذا المعنى (من الوافر) :

٦ إذا ما كنت مسرورا بهجري فأني من سرورك في سرور

سُئِلَ سَرِيّ السَّقَطِيّ : هل يجدُ المحبّ طعمَ الألم ؟ فقال : لا ، قيل : وإن ضُربَ بالسيف ؟ قال : وإن ضُربَ بالسيف سبعين ضربة على ضربة . ٩

وحكي أن بعض الشُّطّار ضُرب مائة سوط فما تألّم بذلك ، ثم ضُرب بعد ذلك سوطا واحدا فتألّم وصاح ، فسُئِلَ عن ذلك فقال : العينُ التي كنتُ أضربُ من أجلها كانت معي ناظرةً إليّ فلم أجد للضرب ألما ، فلما غابت عني رجعتُ إلى جسمي فوجدتُ الألم . ١٢

وكذلك أيضا حُكي أن بشر بن الحارث قال : رأيتُ شخصا ببغداد قد ضُرب ألف سوط ولم يتكلم ، فلما حُمِلَ إلى السجن تبعته فسألته عن سكوته فقال : معشوقي الذي كنتُ أضربُ من أجله كان حذائي ينظر إليّ ، قلتُ : فلو نظرتُ إلى المعشوق الأكبر ؟ قال فزعق زعقة وخرّ ميتا . ١٥

١٨ وربّما بلغ ببعضهم الحال في ذلك حتى أنّه إذا أمره محبوبه بأن يموت مات كما حُكي أن شابا عشق جاريةً فسمّعها يوما وهي تغني وتقول .

٧ سئل السري السقطي : احياء علوم الدين ٢٩٨/٤ كتاب المحبة . بيان حقيقة الرضا

١٤ حكي ان بشر بن الحارث : احياء علوم الدين ٢٩٨،٤

١٧ وخر : في الأصل « خر »

١٩ ان شاباً الخ : احياء علوم الدين ٣٠٠/٤

(من المتقارب) :

علامة ذلّ الهسوى على العاشقين البكا
ولا سيما عاشقٌ إذا لم يجد مُستَكى ٣

فقال : أحسنتِ والله يا سيّدي أفتأذنين لي أن أموت ؟ فقلت له : مُت !
فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه فحرّك فإذا هو ميت .
ومثل هذا كثير . فكل من لا يستعذب تعذيب محبوبه فهو بعيدٌ عن حقيقة ٦
المحبة . (من المجتث) :

عذابه فيك عذبٌ وبُعدُه منك قُربُ
وأنتَ عِندي كنفسِي بل أنتَ عِندي أحبُّ ٩
حسبي من الحبّ أنِّي لِمَا تحبّ محبُّ

ولا شكّ أن الرضى مقام جليل من أجلّ مقامات السالكين ، ومنزل
رفيع من منازل المحبين . ومن لم يصل إليه فما ذاق من لذة المحبة شيئا . ولهذا ١٢
أنكره الجُهمّال وقالوا : لا يمكن وجود الرضى وليس إلا الصبر . ولا سبيل إلى
تفهم ذلك لمن لم يدركه من نفسه ، ولا يدركه إلا من ذاق من طعم المحبة .
وإلا فلا يفهمه . ومن بلغ إليه ثم ارتقى عنه إلى استعذاب الألم فهو المحقّق . ١٥
وبعضهم قنع به لعلمه أنّ فيه رضى المحبوب والخروج عن اختيار النفس
فقال (من الطويل) :

وغايةُ آمالي رضاك فإنّني أجلّك عني أن تكون مُواصلي ١٨

ولنما ودّاه إلى هذا القول مطالعةُ صفة الجلال الموجبة للتعظيم والهيبة ، فإنّ

٣ سطوة الجلال تهدّ الجبال ، فإذا شهد المحب هذه الصفة قنع بما رضي له به محبوبه ، إذ الهيبة تمنع من التمني . فلذلك امتنع بعضهم من الدعاء اكتفاءً بالعلم بالحال . وأما الرضى بالمعاصي والمخالفات فلا يصحّ إذ ذاك مُتَنَافٍ لما يرضاه المحبوب ، ومن كوشف بعظمة محبوبه منعه ذلك من مخالفته أو مرور ذلك بخاطره ، وربما أفضى ببعضهم ذلك حتى خجل من تمنّي الوصال فقال (من الكامل) :

٦ وَمُسْنَعٌ مَا حَظُّنَا مِنْ وَصْلِهِ إِلَّا الْمُنَا وَمَوَاهِبُ الْأَحْلَامِ
تَهْفُو لَهُ أُرْوَا حُنَا فَيَصُدُّهَا عِزُّ الْجَلَالِ وَهَيْئَةُ الْإِعْظَامِ

٩ وهذا المقام يلزم المحب ولا يبرح عنه ، لكنه يقوى ويضعف بحسب ضعف موادّ الطباع وقوتها . وقال بعضهم : « منذ أربعين سنة ما أقامني الحقّ تعالى في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطته » ،
يُشير إلى دوام الرضى . ولا شك أن الرضى مقامٌ خلافاً لمن زعم أنه
١٢ حال إذ الحال لا يدوم .

(٥/٧) فصل في الخوف والرجاء : أما الخوف والرجاء فهما مقامان من مقامات عوالم المحبين السالكين . ومعنى الخوف استشعار فوات محبوب أو هجومٍ مكروه ، والرجاء طمع النفس في نيل مطلوبها من محبوبها ، إلا
١٥ أن الرجاء من صفات من شاهد روح الجمال ، والخوف من صفات من عاين عزّ الجلال ، فإذا داما وصار كل واحد منهما ملكة سُمّي ذلك مقاما .
١٨ ولا شك أن هذين المقامين يلزمان المحبّ في أول سلوكه ، فإنّ من أحبّ شيئاً رجا ثبوته ودوامه وخاف فقداه أو الانقطاع عنه ، لكن إذا غلب على المحبّ إحدى هاتين الصفتين ودام سُمّي المحبّ بذلك الوصف وانفراده
٢١ بأحدهما مع عدم الأخرى .نقص ، إذ مجرد الخوف يوجب الوحشة من

٢٠ المحب : في الأصل « المحل »

المحبيب وذلك من أعظم الحجب ، ومجرد الرجاء يوقع المحب في الإعجاب فيسقط بسوء الأدب ، ولا يصح سلوك السالك إلا باعتدلهما فيه .

- وَأما القَبْضُ والبَسْطُ فإنهما صفتان يتواردان على قلب المحبّ فربما كانا ٣
عن سبب خفيّ جدًّا لا يظهر وهما ألطف من الخوف والرجاء وأخصّ منهما
بالمحبين ، وربّما صدرا عنهما فإن الخوف يقبض والرجاء يبسط ، كما
قال بعضهم : الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق ٦
يفرقني .

(٦/٧) فصل في المراقبة : وأما المراقبة فهي أعلى من الخوف رتبة

- وهي من مقامات المحبين المحققين ومعناها علم القلب بدوام شهود المحبوب ٩
له ، فهو دائم الإطراق مستجمع لهم ، شديد الفكر في المحبوب ، معرض
عما سواه . (من الطويل) :
- كأنّ رقبيا منك يرعى خواطري وآخرُ يرعى ناظري ولساني ١٢
- بغني أنّه يمنع قلبه من أن يخطر غير محبوبه فيه ، ويصون اللسان عن النطق
بغيره ، والبصر عن النظر إلا إليه ، والأذن عن الاستماع لغير كلامه ، فإن
حدث فعنه ، وإن استمع فمته ، وإن لاحظ فإياه ، ولا يكون فيه نصيب ١٥
لغيره ظاهرا ولا باطنا ، كما قيل (من الطويل) :
- إذا نحن أثْنينا عليك بمصالحٍ فأنتَ كما نُسِّني وفوق الذي نُسِّني
وإن ظهرت في النطق دونك لفظةٌ لغيرك مخلوقا فأنت الذي نغني ١٨
- ومن تحقّق هذا المقام لا يمكنه الالتفات إلى الخلق ولا يتفرّغ للقائه

١٢ كأن رقبيا البيت : رسالة القشيري (١٣١٨) ٥٠ (باب تفسير ألفاظ)

ولا يُصغي إلى حديثهم ، ولا يحتفل بهم ، ولا يعتذر إليهم ، ولا يلاحظهم من حيث ذواتهم ، فإن نظر إليهم من حيث أنهم صنعة المحبوب ووجودهم به ونسبتهم إليه فأنما هو ناظر إلى السرّ القائم بهم لا لهم ، فهو إذاً مع الصانع لا مع الصنعة ، بل تراه حاضراً مع الخلق وهو غائب عنهم بسرّه . (من الطويل) :

٦ وإخوانِ صدقٍ قد سئمتُ حديثهم وأمسكت عنهم ناظري ولساني وما الزهدُ أسلى عنهمُ غيرَ أنّني وجدتُك مشهودي بكلِّ مكانٍ

٩ ومن ذاق لذة مناجاة ربّه وعلم اطلّاعه على سرّ قلبه وشهوده لباطن أمره وخفيّ لبه وتمثّل له في كل شيء يشاهده ، وسمع كلامه من كل ناطق وصامت ، كيف يُصغي بقلبه إلى سواه ؟ أم كيف يقنع بحظّ دونه وحاشاه ؟ لكن من ابتلي بمراعاة الخلق وتنزّل لهم بأمر الحق يُصغي إلى أحوالهم وينظر إلى أحوالهم ، وقلبه مع مُصرّفهم في أنواع التصريف ، مشاهد له في كل تفريق وتأليف . (من الكامل) :

١٥ وشُغِلْتُ عن فهم الحديث سوى ما كان منك فأنتمُ شغلي وأديمُ نحو محدثي نَظَري أنْ قد سمعتُ وعندكم عقلي

(٧/٧) **فصل في الهيبة ومعناها وجود تعظيم في القلب يمنع من النظر إلى غير المحبوب .** وهذا المقام ذاتي للمحب لا يفارقه ، إلا أنّه يشتدّ عند تجلّي صفات الجلال . أما الخوف فإنّه يذهب عند وجود الرجاء والهيبة لا تنقطع

٣ لهم : لعله « اليهم »

٦-٧ وإخوان البيتين : رسالة القشيري (١٣١٨) ٥٠

١٤-١٥ وشغلت البيتتين : مصارع العشاق ٢٨٣ لقيس بن معاذ المجنون [نظري : ليري]

[سمعت : فهمت]

إلا مع عدم المشاهدة والرجوع إلى الحسّ ، ولو غاب المحبوب طرفة عين
عن المحب وخلي عن شهوده لذهبت نفسه ، وهل يبقى جسد بغير روح ؟ (من
الكامل) :

٣

أَشْتَاقُهُ فَإِذَا بَدَأَ أَطْرَقْتُ مِنْ إِجْلَالِهِ
لَا خَيْفَةَ بَلْ هِيَّةٌ وَصِيَانَةٌ لِحَمَالِهِ

ومن لوازمه سكون القلب عن الاضطراب ودوام الحضور وعدم
الالتفات إلى الأغيار ، وحفظ الأسرار ، فإن الحق تعالى يغار على محبه أن
يطلع عليه فيجد في قلبه تعظيما لغيره ، وربما منع بعضهم التعظيم لحبيبه
أن يسجري ذكره على لسانه إجلالا وتعظيما له واحتقارا لنفسه فقال (من
البسيط) :

مَا إِنْ ذَكَرْتَكُمْ إِلَّا نَسِيتُكُمْ نَسِيَانٌ إِجْلَالٍ لَا نَسِيَانَ إِهْمَالٍ
إِذَا تَذَكَّرْتُ مِنْ أَنْتُمْ وَكَيْفُ أَنَا أَجَلَلْتُ ذِكْرَكُمْ يَجْرِي عَلَى بَالِي ١٢

وقال غيره في معنى التعظيم للمحبيب ، وستر السرّ الذي تنطوي عليه
القلوب (من البسيط) :

أَجَلَلْتُ حُبَّهُمْ عَنْ أَنْ يُدْنِسَهُ مِثْلِي وَحُبُّهُمْ عَارٍ مِنَ الدَّنَسِ ١٥
فَصِيرْتُ أَهْوَى سَوَاهِمٍ وَالْمَرَادُ هُمْ بِجِبْهَةِ الْعَبْرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ

(٨/٧) فصل في الغيرة : وأما الغيرة فهي من لوازم المحبة ، ويوصف

بها المُحِبُّ والمُحَبُّوبُ ، كل واحد منهما على نفسه وعلى حبيبه . أما غيرة
المُحِبِّ على نفسه فثلاثا يكون فيها نصيب لغير محبوبه وإن دقّ ، بل يرى
نفسه أهلا لحبّ حبيبه حتى لا يحبّه بشيء هو غيره بل يحبه به لا بسواه .
ولهذا يفنى عن نفسه عند مشاهدته . وأما غيرته على حبيبه فثلاثا يتّصف بمحبته ٢١

مَنْ ليس من أهلها من أهل الدعاوى والمخارق ، ومن لم تكن له تدمُّ راسخة في الحقائق .

٣ ولهذا لما سمع بعضهم أذان المؤذن قال له : حربةٌ وسمُّ الموت ! لأنَّه غار من غفلته عن حقيقة ما ذكر من صفات محبوبه ، إذ لو تصوّر حقيقة المذكور على ما يجب لآثر ذلك التصرُّور في كل مَنْ سمع نطقه .

٦ وربّما توالى هذا المقام على المحب حتّى يغار من نفسه على محبوبه ، كما حُكي أن بعضهم قيل له : أتريدُ أن تراه ؟ قال : لا ! قيل : ولم ؟ قال : أنزّه ذلك الجمال عن نظر مثلي .

٩ وقال الشبلي رحمه الله : « حقيقة المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك » . (من الكامل) :

١٢ إني لأحسُّدُ ناظرِيَّ عَليْكَا حتّى أغضُّ إذا نظرتُ إليْكَا وأراك تخطر في شمائلك التي هي فِتْنَتِي فأغارُ منك عليْكَا

وهذا معنى دقيق لا يفهمه إلا من ذاق من خالص المحبة الحقيقية .

وأما غيره المحبوب على نفسه فتتنشئ من علمه بكمال ذاته ، وبدائع جمال صفاته ، وما ينفرد به من نعوت الجلال والكمال ، دون افتقار إلى غيره ، واحتياج إلى سواه ، وهذا لا يليق إلا بالحق تعالى . (من البسيط) :

١٨ تاهت علينا لأن تَمَّتْ محاسنها خَوْدُ تكلّم في أعطافِها الفِتْنُ هَمَّتْ بإتياننا حتّى إذا نظرتُ إلى المرأة نهاها وجهُها الحسنُ ما كان هذا جزائي من محاسنها أغرت بي الشوق حتّى شفّيتي الشجنُ

ومن أعجب أحوال المحبة أن يغار المحبوب على قلبه لمُحبّه أن يلتفت لسواه وفاءً لودّه وحفظاً لعهدّه ، فلا يخصُّ بأسراره سواه ولا يُنيل غيرَه ما ينيله من تقريبه واصطفائه ، إذ لا يستوي من بذل نفسه في حقّ محبوبه ومن

بخل بها فيما يروم من مطلوبة .

- ولهذا حُكي أن بعض أرباب القلوب سمع محبوبا يُعتاب محبةً بعتابٍ
 ٣ أغلظ له فيه حتى أثار ذلك في قلب هذا السامع ، فلما كان بعد ذلك طلب أن
 يعتبه على ما كان منه في حق ذلك المحبّ المسكين ، فخرج إليه المحبوب وهو
 مبرقع ، فسأله عن ذلك فقال : إنما احتمل شدة عتابي وهاجر إليّ من
 ٦ أوطانه ليفوز بالنظر إلى وجهي فأنا لا أبيع أن ينظر إلى وجهي سواه .
 فهذا من غيرة المحبوب لمحبه . (من الطويل) :

أَعْيَسَنِي مَهَاةَ الرَّمْلِ عَنِّي إِلَيْكُمَا لَلَيْلَى عَلَيْنَا بِالْفَلَاةِ رَقِيبُ
 ٩ أَغَارُ عَلَى قَلْبِي هَا وَتَغَارُ لِي عَلَى قَلْبِهَا إِنَّ الْهَوَى لَتَعَجِيبُ

- (٩/٧) **فصل في الذكر** : وأما الذكر فمن علامات المحبّ الاستهتار
 بذكر حبيبه ، فإن من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره ، وإن كان المحبّ لا يعتقد
 الغيبة عن حبيبه ولا نسيانه ، ولا شيء أقبح من ذكر الحاضر ، إلا أن لسان
 ١٢ المحب مجبول على ذكر حبيبه ، ولهذا قالوا : « المحب إذا صمت هلك
 والعارف إذا نطق هلك » ، وإنما عَسَوْا به ذكر أسرار الحبّ التي مُنِعَ من كشفها
 ١٥ أخيراً أربابها ، ولهذا قال علي بن الحسين صلوات الله عليه (من البسيط) :
 يَا رَبِّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحَ بِهِ لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الْوَثْنَ
 وَلَا سَتَحِلُّ رِجَالٌ صَالِحُونَ دَمِي يَرَوْنَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا
 ١٨ وقال عليّ كرم الله وجهه : « حدّثوا الناس على قدر عقولهم ، أنحبّون

٨ ليل : في الأصل « ليل »

١٦-١٧ يا رب جوهر البيتين : الفتوحات المكية ٣٢/١ للشريف الرضي ، وقال ٢٠٠/١ : وإلى
 هذا العلم كان يشير علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين . . . بقوله فلا أدري
 هل هما من قيله أو تمثل بهما

أن يكذب الله ورسوله ؟ » .

والذكر ينقسم إلى ثلاثة أقسام : ذكر اللسان المستمد من القلب ، وهذا
٣ الذكر كثيرا ما يردده المحب ويستعذب تردادده ويحب سماعه من غيره ولو
كان على معنى العدل واللوم ، كما قيل (من الطويل) :

أعِدْ ذَكَرَ مَنْ أَهْوَى وَلَوْ بِمَلَامِي فَإِنْ أَحَادِيثَ الْحَبِيبِ مُسْأَمِي
٦ لِيَشْهَدْ سَمْعِي مَنْ أَحَبَّ وَإِنْ نَأَتْ بِطِيفِ مَلَامٍ لَا بِطِيفِ مَنْسَامِي
فَلِي ذِكْرُهَا يَحْلُو عَلَى كُلِّ صَبِيغَةٍ وَلَوْ مَرْجُوهُ عُدَّتْ لِي بِخَصَامِي

والذكر الثاني ذكر الخواص وهو ذكر القلب ، ومعناه تصوّر حقيقة
٩ المحبوب في القلب والاستجماع لها بالكلية.. وهذه هي المناجاة وتسمى مناجاة
الروح . ومن شرط هذا الذكر أن لا يتحرك فيه لسان ، إذ اللسان يوجب
التفرقة وإن كان يترجم عن المعنى الذي في النفس . (من الوافر) :

أُرِيدُ عَتَابَهُ فَإِذَا التَّقِينَا تَعَاتَبَتِ الضَّمَائِرُ فِي الصَّدُورِ
١٢ سَأَصِمْتُ لَا أَلْمُهُ وَلَا يَلْمُنِي لَقَدْ فَهِمَ الضَّمِيرُ عَنِ الضَّمِيرِ

وإنما أراد لسان النفس لا لسان الجارحة ، فإن النفس هي الناطقة
١٥ واللسان آلة لها .

والذكر الثالث ذكر السر وهو من مقامات الواصلين من خاصّة الخاصّة .
ومعناه غيبة الذاكر في المذكور بالجملة حتى لا يبقى له رسم فيكون المذكور
١٨ هو الذاكر . ويُشترط في هذا عدم الذاكر كما اشترط في الثاني عدم اللسان .

٣ كثيرا ما: في الأصل « كثير ما »

الباب الثامن

في منازل الواصلين من اهل التمكين

- ٣ (١/٨) اعلم أن من شرط السالك أنه لا يزال يترقى على الدوام ولا يقف مع شيء ، فإنه مهما شاهد من محبوبه صفةً فوقف معها كان ذلك عين حفظه منه وحُجِبَ بها عن الزيادة ، فلا يزال يتطور في مراتب الكمال طوراً بعد طور ، وكلما أدرك حالة جليلة استعدّ بحصولها عنده إلى منازل ما هو أكمل منها . (من الكامل) :

- لا زلتُ أنزل من وداذك منزلاً تتحيرُ الأبواب عند نزوله
- ٩ ثم لا يزال كذلك حتى يصل إلى حالة الدهش ، فعندها تذهل النفس عن عالم الحسّ بل عالمها الخاصّ بها وهو بدنّها وقواها ، وتصير علويةً ليس لها همّة إلا في الصعود والارتقاء والرفض لما سوى المحبوب ، وهو مقام الحرّيّة . فإن معنى الحرّ من لا يسترقّه شيء من الأكوان وأعراضها ،
- ١٢ بل لا يسترقّه شيء غير محبوبه ، فهو بالاضافة إلى الأكوان حرّاً وبالاضافة إلى المحبوب عبد ، إذ العبد المحب هو الفقير مطلقاً والمحبوب هو الغنيّ مطلقاً .
- (من البسيط) :

١٥

٨ لا زلت البيت : اللمع للسراج (ليدن ١٩١٤) ٢١ ، رسالة القشيري (١٣١٨) ٤٨ ،
(باب تفسير الفاظ) ، احياء علوم الدين (مصر ١٣٣٤) ٢٦٣/٤ (بيان ان المستحق للمحبة هو الله وحده)

كانت لقلبي أهواءٌ مفرقةٌ فاستجمعت إذ رأيتك العين أهوائي
وصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذصرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بحبك يا ديني ودنيائي ٣

(٢/٨) وعند البلوغ إلى هذا الحد من التجرد يذهب كثير من المقامات
والأحوال ، وإن كانت قبل هذا شرطاً في السلوك إلى المحبوب ، فتصير
حجاباً ، كالشوق الذي معناه حركة القلب إلى نيل مطلوبه ، لأنه إذا بلغ
المحب إلى الكشف والعيان ذهب شوقه ، كما قيل (من الوافر) :

ولا معنى لشكوى الشوق يوماً إلى من لا يزول عن العيان
وكالرضى ، فإن الرضى له معنيان : أحدهما تحمّل الألم لما يرجى لأجله
من الثواب ، والثاني الغيبة عن الألم بمعاناة الجزاء عليه ، وفي التحقيق ليس
للألم عند المحب وجودٌ وليس إلا محض اللذة في جميع ما يصدر عن المحبوب ،
كما قيل (من البسيط) :

وكلّ ما يفعل المحبوب محبوبٌ

وإذا كان الرضى حجاباً فالصبر أخرى أن يكون حجاباً ، وكذلك أيضاً
الخوف والرجاء لغيبية المحب عن ذلك بشهود عين الجمع ، وأما الأحوال مثل
الفصل والوصل ، والقرب والبعد ، والغيبة والحجاب ، والذكر والنسيان ، فلا
تُستعمل هنا لتنزیه هذا المقام عنها ، إذ كلها عوارض تُشعر بالانفصال ،
واستعمالها مجازاً لا جدوى له ولا غنى فيه . (من الكامل) :

وإذا الديارُ تمعرّضتْ مُتَيِّمٌ لم يبقَ لا ذكرٌ ولا نسيانٌ

١-٣ كانت الايات : ديوان الحلاج 38, 1931 J A ، واحياء علوم الدين ٢٦٧/٤ (بيان ان

اجل اللذات الخ) .

١٨ غنى : في الأصل « عنا »

٤-٣/٨

خذ من عيونهم الأمان وهل لمن حمل الغرام من العيون أمان

(٣/٨) وعند الوصول إلى هذا الحد من التجريد تغلب صورة المحبة

- ٣ على المحب فتصفتى ذاته من الشوائب العرضية ، فإذا كمل صفاؤها يصير
مرآة نورية مهية لما يرد عليها من محبوبها من الصور الجميلة ، فيلاحظها
بعين الكمال اللائق بكمال المحبوب ويتنعم بجميعها ، لأنه يراها واحدة وإن
تكررت في الخارج ، نظرا إلى صدورها من ذات واحدة ، لا نظرا إلى ذواتها
٦ في أنفسها ، إذ التفرقة تصرف عن لذة المشاهدة وتُعقب الشتات بعد الجمع ،
والجمع أتم ، كما قيل (من المجتث) :

- ٩ أُجِلُّ ما منك يبدو لأنه عنك جَلَّتْ
وأنت يا نور قلبي أُجِلُّ من أن تجلّي
أفئيتني عن جميعي فكيف أرى المجلّي

١٢ (٤/٨) فأما قول القائل (من الوافر) :

أحبك لا أحبك للثواب ولكنني أحبك للعقاب
وكلّ مآربي قد نلت منها سوى ملنوذ وجدي بالعذاب

- ١٥ وهذا القول إن لم يكن ظهر من سكر فليس بكمال ، بل هو قصور
عن المطلوب من الحقيقة ، فإن الذات الواحدة يتساوى كل صادر عنها بالنظر

هـ لانه في الاصل « لانها »

١٣ - ١٤ احبك البيتين : ديوان الحلاج 43، J.A.1931، ورواهما لأبي يزيد البسطامي

صاحب الفتوحات المكية ٥١١/١، ٤٠٨/٢ و ٥٢٤ و ٦١٤ و ٦٥٧ ، ١٨٥،٤

[أحبك : أريدك]

- إلى ذاتها الجميلة المتحدة لا بالنظر إلى ذوات الأفعال ، فالعقاب والثواب
 إذا رضي بهما المحبوب سيّان ، على أن المحب إذا اتّحدت ذاته بذات
 ٣ محبوبة محالٌ أن يرى صورة العقاب لاعتقاده أن ذاته هي ذات محبوبة وكيف
 يعاقب الانسان ذاته ؟ ولا اعتبار عنده بالصورة الخارجة لأنها غير مناسبة
 والاعتبار بالمناسبة أولى ، لأنه أقرب وأكثَر خصوصيةً بالقلب ، ولهذا أقرّ
 ٦ هذا القائل على نفسه بعدم وجود هذه اللذة للعذاب كما وجدها بالثواب ،
 ولا يُتصوّر أن يرى المحب الهجر والعذاب وسائر الأفعال المتضادة حسّاً
 متغايرة لأن الفعل لا يكون إلا متعلّقاً باثنين فيكون أحدهما فاعلاً والآخر
 ٩ قابلاً ، وهو خلاف الاتحاد ، على أن الاتحاد أمرٌ عقليّ في الذهن لا في الخارج .
 قيل للحسين بن منصور الحلاج : أيصبر المحب عن محبوبة ؟ فقال :
 يستحيل صبر الشيء عن نفسه ، إذا صدقت المحبة تمازجت الكلية فاستحال
 ١٢ الفراق ، وأنشد (من الرمل) :

ما تصبّرتُ وهل يصُـ برُ جسمي عن فؤادي
 مازجت روحك روحي في دنوّي وبُعادي
 ١٥ فأنا أنت كما أنت لك أتّي ومُرادي

- وحكي أن الوُشاة ذكروا ليل عند قيس المجنون فغضب وقال : ما
 افترقنا قط ، أنا ليلي ويلي أنا وكيف ينسى المرء نفسه ؟ فالذكر في محلّ
 ١٨ الحضور عيب لأنه يؤذنه بالفرقة وهي محال ، كما قيل (من البسيط) :
 ما إن ذكرتُك إلا همّ يُبعدني نطقي وفكري وذكري عند ذكراكا

١٣-١٥ ما تصبرت الأبيات : ديوان الحلاج . J. A. 1931, 52 [ما : قد]
 ١٩-ص ٨٨/م ما إن ذكرتُك الأبيات : الأولان في رسالة القشيري (مصر ١٣١٨) ١٢١ (باب الذكر).
 ١٩ يبعدي : يليني-الأصل ، يزجرني-الرسالة ١١ نطقي وفكري وذكري : قلبي وسري وروحي-الرسالة

حتى كأنّ رقيباً منك يهتف بي : إيتاك ويحك والتذكّار إيتاك
أما ترى الحقّ قد لاحَتْ شواهده وواصل الكلّ من معناه معناك

٣ قيل لبعض العارفين وهو في التزع : قل لا إله إلا الله ! فقال : أليس
إليه أعود ؟ وقيل لآخر وهو يجود بنفسه : قل لا إله إلا الله ! فأنشد (من
الخفيف) :

أنا إن متّ فالهوى حشو قلبي وبداءِ الهوى يموت الكرامُ ٦

(٥/٨) وإذا كانت الغيبة عن الحبيب غير ممكنة هنا فطلب رؤية الظاهر
أقراراً بالحجاب . ولهذا قيل في حقّ نبيّنا وسيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم : ﴿وما كذب الفؤاد ما رأى﴾ النجم (٥٣) «النجم» (١١) لأنّه كان أتمّ مقاماً ٩
من موسى عليه السلام. هذا في حقّ الأنبياء الذين هم مخصوصون بالكمال فهم
أهل الحضور على الدوام وأما منّ دونهم من الأولياء فإنما يتصوّر لهم هذا
في أوقات عزيزة الوجود ولا يتمكّنون من دوام المشاهدة إلا بعد فراق هذه ١٢
الجسوم في حضرة القدس ، إمّا بالموت الحسيّ وهو الأكثر وإمّا في حال الحياة
عند الانسلاخ عن قوى الأبدان والتجرّد بالكلية وهو نادر ، وأما منّ دون
هؤلاء من سالكي المحبّين فإنهم يجدون في رؤية الظاهر المذكورة بمحبوبهم ١٥
زيادةً معنيّة تشوقهم إلى الجمال المودّع في الذوات الجميلة الذي هو من تجلّي
عالم الجمال الكلّي ، فلهذا يطلبون رؤية المذكرات والموصلات إلى ذلك العالم ،
والمعاينة الظاهرة هي الباب لهذا الجنب كما قيل (من الوافر) : ١٨

لئن أصبحتُ مرتحلاً بجسمي فقلبي عندكم أبداً مقيمٌ

٦ أنا إن مت البيت : رسالة القشيري ١٦٤ (باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا)

١٩-ص ١/٨٩ لئن أصبحت الخ : الثاني في الفتوحات المكية ١/١٠٨ ، ٣/١٩٥ و ٢٨٧ و ٤٤٣

ولكن للعيان لطيفٌ معنىً له سأل المعاينة الكليمُ

(٦/٨) قاعدة : واعلم أن كل مقام فهو كمال بالاضافة إلى ما دونه

٣ ونقصٌ بالاضافة إلى ما فوقه، ولهذا قالوا: « حسنات الأبرار سيئات المقربين ».

وللإنسان حالتان : حالة يكون فيها فانيا عن نفسه موجودا بوجود محبوبه

وتُسمى حالة الجمع لأنه إذا فني عن نفسه فقد فني عن سائر العالم إذ نفسه

٦ أقرب الأشياء إليه ، وحالة يكون فيها ناظرا إلى نفسه وتُسمى حالة التفرقة .

ومن حصل في حالة الجمع رأى محبوبه في كل شيء وسمع كلامه من كل

شيء ، ولا يختص إدراكه له بشيء دون شيء بل لا يبقى فيه جزء وهو

٩ خالٍ عن حبيبه لأن محل الإدراك منه لا يتجزأ فيُدرَك منه جزءا دون جزء ،

بل يعتقد في تلك الحال أنه يشاهد محبوبه بكل ذرة فيه ظاهرة أو باطنة ،

كما قيل (من الطويل) :

١٢ فلو بسطت جسمي رأى كل جوهر به كل قلب فيه كل غرام

وهذا على المسامحة وإلا فالجسم بمجرد لا يدرك شيئا ، وإنما الإدراك

للنفس وهي لا تتجزأ ولا تنقسم ، إذ ذاك من عوارض الأجسام ، وإنما يكون

١٥ إدراك المحب بكيئته التي لا تنقسم ، كما قيل (من الطويل) :

إذا ما تجلّى لي فكلّي نواظر وإن هو ناجاني فكلّي مسمّيع

حكيم أن مجنون بني عامر مرّ بظبية قد حلت في حباله قانص فعين

١٨ فيها مشابه من ليلي فرآها بعين ليلي فأطلقها وقال (من الوافر) :

تروّح سالما يا شبه ليلي قرير العين واستطبّ البقولا

فليلي أنقذتلك من المنايا وفكّت عن قوائمك الكبولا

١٢ رأى : في الأصل « وأت »

١٨ مشابه : في الأصل « مشابها »

فرأى أن اليد التي أطلقت الظبية يد ليلي لصدور الفعل عنده عن نفس واحدة فناءً منه عن جملته في مشاهدة محبوبه .

- ٣ وحكي أيضا أن بعض المحبين عشق جارية له فمرضت فصنع لها حسناً وأخذ يحركه وهو على النار بملقعة كانت في يده، فصاحت الجارية آه فدُهِش الرجل وذهل عن نفسه، وسقط ما كان في يده فجعل يحرك بأصابعه في القدر حتى سقطت أصابعه وهو لا يشعر، فنظرت إليه الجارية وهو على تلك الحال فقالت له : ما هذا يا سيدي؟ فقال : هذا من قولك آه . فهذا غاية الغيبة عن الإحساس في مشاهدة المحبوب .

- ٩ وقد أخبر الله تعالى بذلك عن نسوة مصر حين قطعن أيديهنّ عند استغراقهنّ في مشاهدة صورة يوسف ولم يشعرن به ولا وجدن له ألماً وعن دهلنّ حيث قلن ﴿ما هذا بشراً﴾ (١٢ «يوسف» ٣١) وقد كان بشراً، وتصوّرنه ملكاً كريماً ولم يكن ملكاً لكن إنما شهدن منه الصورة الباطنة التي هو بها ١٢ ملكٌ لا الظاهرة التي هو بها بشرٌ ، كما قيل (من الطويل) :

فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبّهت لا عُرفٌ لَدَيّ ولا نُكْر

- ١٥ وأما أهل التمكين في الأحوال فلا يقع فيهم هذا الأثر لاحتماهم لهذه الواردات وقوّتهم عليها ، كما كانت امرأة العزيز حيث لم تقطع يدها كما فعلن صواحبها ، فإن هذا الأثر إنما يحدث عند ورود هذه الغواشي على معنى الفجاءة من غير توطئ نفسٍ ، كما أن من وُلد مكفوف البصر وأقام كذلك مدة من عمره ثم أبصر دفعةً واحدةً وعان ذوات الأشياء يحصل عنده منها ما يحصل عند من لم يشاهدها حتى فجأته . ولهذا لا يتأثر الإنسان إلا عند رؤية شكل غريب ، وهو يشاهد السموات والأرض وما بينهما من العجائب ولا يتأثر، فالعارفون يشاهدون معروفهم على الدوام في جميع الذوات ويتجلّى لهم في جميع الموجودات وعلى جميع الحالات فلا يرون سواه ولا يلاحظون

في الكون حاشاه ، بل لا يلاحظون ذواتهم إلا من حيث هي ملاحظة لمحبوبهم .
(من الطويل) :

٣ أرى كلَّ شيءٍ لاح للعين مرآهُ أشاهد فيه وجه من أنا أهواهُ
فهل عاشقٌ إلا لوجهك عِشقُهُ وهل نفسٌ إلا سرى منك ريتاهُ
فلا ذاكرٌ إلا لأجلك ذِكرُهُ ولا راحلٌ إلا لقصدك مسراهُ
٦ ولا شيء إلا أنت فيه مُسمِّلٌ مُقيمٌ وإن لاحت لعيني أشباهُ

هذا مذهب المحققين ، ومن ادعى ذرة من هذا المقام ورأى أن في العالم
من هو أكمل من محبوبه ذاتا أو صفات فقد خرج عن حكم المحبة .

٩ كما حكى : أن بعض الناس ادعى محبة جارية فجعل يوما يعاتبها وهما
على سطح عال فقالت له : لورأيت أختي فلما أجمل مني ! فقال لها : وأين هي ؟
فأشارت له إلى ناحية ، فلما نظر إلى تلك الناحية ألقته من أعلى السطح وقالت :
١٢ من يدعي هوانا ، لا ينظر إلى سوانا . ولهذا قال عليه السلام : « حُبُّكَ الشيء
يُعْمِي ويُبْصِمُ . » أي يُعْمِي عن النظر إلى سوى المحبوب ويُبْصِمُ عن الاستماع
لغير حديثه ومناجاته .

١٥ (٧/٨) تنبيه : وأما ما ذكرناه من الغيبة عن الصور الجسمانية لعشق مجرد
الكمال فيدلّ عليه ما حكى أن رجلا عشق جارية ثم بعد مدة ذهب لإحدى
عينيه وهو لا يشعر بها ، فلما كان بعد زمان طويل اطلع على ذلك منها
١٨ فسألها عنه فقالت : أو ما رأيته قبل هذا ؟ قال : لا ، فقالت له : لما كنت تنظر
إليّ بعين المحبة التي لا تشاهد إلا الكمال لم يظهر لك مني نقص وأما الآن فقد
ذهبت تلك المحبة . وفي ذلك قيل (من الطويل) :

٢١ وعين الرضى عن كلِّ عيبٍ كليلّةٌ ولكنَّ عين السُخط تُبْدي المساويا

٢١ وعين الرضى البيت : رسالة القشيري (مصر ١٣١٨) ١٥٧ (باب الصبغة)

ومن أرباب هذا الشأن من يغلب عليه مشاهدة أنوار الجمال فيغيّبه ذلك عن مشاهدة ظاهر الصور، بل لا ينظر إليها لأنها توجب عنده التفرقة وتُخرجه عن حضرة الشهود .

٣

كما حُكي أن ليلي العامرية ضمّت قيسا المجنون إلى نفسها، فنظر إليها وقال لها : « إلتيك عني ! فإن الذي بي منك أشغلني عنك » استغراقا منه في مشاهدة صورة جمالها الباطنة المصورة في ذاته بحيث لم يبق فيه متسع ٦ لصورتها الخارجة، إذ الصورة الباطنة هي في الحقيقة المناسبة للنفس بل هي عنده، والصورة الخارجة حجاب عنها وإن كانت أولا شرطا في حصولها .

وهذا غاية الحضور وهو الذي يسمّى الفناء في المشاهدة ، لأن الاشتغال ٩ بروية السبب الخارج يمنع من كمال مشاهدة الجمال الحاصل في الباطن وكأتهما متغايران بوجه مآ، وما عدا المقصود حجاب عنه . فلهذا كان في هذا المقام حجابا ما كان قبله شرطا إلا أن بعض العارفين تجلّى لهم الحق تعالى في كل ١٢ شيء فلا يحجبهم عنه حجاب . (من الطويل) :

تصوّرکم نفسي على کلّ جوهرٍ فلم أر إلا أنتمُ حیثُ أنظُرُ

وقد يوجد في خواصّ أهل التمكين من يعتمد على مشاهدة ظواهر ١٥ القوالب لكي تستر عنه أنوار التجلّي المحرقة للمحلّ ، كما كان عليه السلام يضرب بيده على فخذ عائشة عند ذلك ويقول : « كلّمني يا حُمَيْرَا » لكي يستر عنه بعض ما كوشف به من صفات الجلال الموجبة لطمس الذات ١٨ فيُنزل إلى المحسوسات التي هي محلّ الرحمة لإبقاء على مركب الرسالة في حقّ الأمة . (من الطويل) :

وإني لتعروني مهابةٌ عزّها إذا ما تراءت من بعيدٍ خيامُها ٢١
أعيد ذكرها يا من سلا في مسامعي ليشفي كلّوما في الفؤاد كلامُها

وكذلك دخلوا مرةً على الشبلي رحمه الله وهو ينتفح لوجه بمنقاشٍ كان في يده ، فسئل عن ذلك فقال : الحقيقة ظاهرة لي ولستُ أطيعها فأنا أُدخلُ الألم على نفسي لعلِّي أحسُّ به فتستتر عني ، فلا أنا أجد الألم ولا هي تستتر عني . وإنما راعى الإبقاء على قلبه ، ولا شكَّ أن أنوار التجلّي المنسوبة للجلال تحقّقُ رسوم الذوات كما تحقّق أنوارُ الشمس أبصارَ الحفافيش ، فإذا استثرت تلك الأنوار عادت الذوات ، وإن ظهرت تلاشت . (من الرجز) :

كما تَرَى حَيَّرَنِي شَرَّدَنِي عَنْ وَطَنِي
إِذَا تَغَيَّبْتُ بَدَأَ وَإِنْ بَدَأَ غَيَّبَنِي

وقال بعضهم : « أَقَمْتُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً بَيْنَ الْوَجْدِ وَالْفَقْدِ ، إِذَا وَجَدْتُ رَبِّي فَقَدْتُ قَلْبِي وَإِنْ وَجَدْتُ قَلْبِي فَقَدْتُ رَبِّي » إشارةً منه إلى المحو والاثبات .

١٢ (٨/٨) وبالحملة فإن من قويت روحانيته بما يرد عليه من أفق الأنوار يضعفُ هيكله الانساني لكون ما يُكاشَفُ به من الصور الروحانية أعظم مما يُطيقه جسمه . ولذلك يوجد صاحب هذا المقام إما قصير العمر أو ضعيف البنية الآدمية ، وأما من لا يكون له رياضة قلبية فيذهل عقله ويفرّ عن الناس كمجنون ليلي إذ لم تُهذّب به الرياضة .

١٨ (٩/٨) ومن ردّه الحق تعالى من هذا المقام إلى العالم الأسفل في حقّ الأمّة لينفعهم ويفيدهم ويدعوهم إلى طريق ربهم ويُفيض عليهم من أنوار المعارف ما يكون لهم سُلماً إلى جناب الحق تعالى ، كالأنبياء وقادة العلماء ، فإن هؤلاء

٧ - ٨ كما ترى البيتين : للنوري . اللع للسراج (لندن ١٩١٤) ٣٦٩] وفيها « أما ترى هيمني » [والثاني أيضا في ص ٣٤٠

- رُزقوا من التمكنين في الأحوال والقوة في المقامات بحيث أنّ منهم من يصعد إلى أعلى عليّين ثم ينزل عن ذلك المقام إلى أسفل سافلين في لحظة طرفٍ ويهون ذلك عليه، ثم يعود إلى مقامه الأول دون كلفة لأنّه في كلتا حالتيه بالله لا ٣ بنفسه . فأما من رجع إلى المحسوسات وسكن إليها لمجرد الراحة البدنية ففيه بقية . وأما المستغرقون في الأحوال الشهودية فإن أحدهم إذا أخذ في النزول إلى المحسوسات ولذاتها أغرته تلك اللذة المحسوسة بما كان فيه من اللذات ٦ الروحانية الشهودية فيشتدّ شوقه إلى تلك الحال ويحنّ إلى كمال لذته بمشاهدة عالم الجمال ، إذ اللذات المحسوسات يُستدلّ بها على اللذة الروحانية والمدلول أجلّ من الدليل عليه ، فهذا هو الفرق بين اللذتين عند العارف . وأما العامّي ٩ فيجب قطعُه عن لذات المحسوسات ، إذ لا يطالع فيها إلا ذاتها وليس له نظر إلى سواها ، والكمال المعرفة يتوصل بكلّ شيء إلى ربّه تعالى . (من الطويل) :
- ولما أبى إلا جماحا فؤادهُ ولم يسلُ عن ليلى بمالٍ ولا أهلٍ ١٢
تسلّى بأخرى غيرها فإذا التي تسلّى بها تُغري بليلتي ولا تُسلّي
- (١٠/٨) إشاوة : واعلم أن كل من أحب ذاتا ما محبةً كاملةً خالصة وأراد الاتصال بتلك الذات لا يمكنه ذلك إلا بخلع ما سواها وترك الاحساس به ، فإذا صحّ له هذا مع صحة التوجّه فقد وصل إلى المطلوب من الاتصال ، ولا مانع من الاتصال بالحقّ مع حصول معرفته إلا بالشعور بما سواه ، ومن تجرّد عن بدنه واطّرحه ناحيةً وفي عن شعوره بذلك فقد اتصل بالحق ، لأن ١٨ بدن الانسان أقرب العالم المحسوس إليه ، فإذا فني عنه فقد فني عن العالم كله ، وهذا هو الوصول . ومن صار له هذا الانسلاخ ملكةً بحيث يفعل متى شاء فهو الواصل على الحقيقة لتمكّنه من مقام شهود الحق . ولا يصح هذا إلا ٢١ لأفراد العارفين ، وأكثرهم لا يصل إليه إلا بقدر لمحّة أو بارقة ، وإنما يذوم دون قاطع بعد الموت ، لا تقطاع علاقة الجسم بالكلية .

- (١١/٨) وهذا آخر مقامات سلوك المحبين، فإذا بلغ السالك إلى هذا الحدّ واتصلت كليته بالمعشوق للمناسبة الكلية التي له معه وانطبع جميع ما في ذات محبوبه في ذاته، كمرآة انطبعت فيها صور كثيرة وقابلتها أخرى مثلها من الصفاء وكمال الهيئة ، فإن تلك المرأة تنطبع في هذه المقابلة لها بجميع ما فيها من الصور انطباعاً متساوياً بحيث تكون هذه هذه . وإذا صحّ هذا كانا ذاتاً واحدةً علماً وإرادةً واطلاعاً وكشفاً ، فيكون العاشق بهذا الاعتبار هو عين المعشوق والمعشوق هو عين العاشق، فيصير عشق النفس إذ ذاك لذاتها من حيث أنها هي ذات محبوبها ، وتستعدّ بهذا الكمال لقبول الصور الروحانية الفائضة من معدن الجمال الكلي ، وتحبّه حبّاً مفرطاً وتتجوهر به ، ثم تستعدّ بذلك أيضاً إلى إشراق جمال واهب الجمال الذي جماله لذاته وكلّ جمال في العالم العلويّ والسفليّ مستفاد منه، فلا جميل على الحقيقة إلا الحق تعالى كما لا محبوب إلا هو ولا مستحقّ لصفات الكمال والجمال والجلال سواه .
- ١٢ وإذا قد بلغ بنا القول إلى هذا الحدّ من تعاشق الأرواح فلنذكر الآن مقام العشق جملة من غير تفصيل إذ مرّ الكلام على تفاصيله في الأبواب المتقدمة .
- ١٥

الباب التاسع

في ذكر العشق على الاجمال

وما يتصل بذلك من الأحوال

٣

(١/٩) اعلم أن العشق هو أقصى درجات المحبة ومجاورة الحد فيها ،
وسائر مقامات المحبة كلها مندرجة فيه مثل الشوق والوجد والغرام والافتتان
والدهش والفناء ، لأنه مشتمل على جميعها ، ولذلك قالوا : « كل عاشق ٦
محبّ وليس كل محبّ عاشقا » . وأيضا فقد تُطلق المحبة في عُرْف اللغة على
الارادة فيقال : أحبُّ أن يُفعل كذا ، كما يقال : أريد أن يُفعل كذا ، ولا
يُسْتعمل العشق هاهنا مكان الارادة كما استعملت المحبة . ٩

(٢/٩) وأما حد هذا المقام فقد عجز الناس عن حده كما عجزوا عن
حد المحبة التي هي بعضه وموصلةٌ إليه . ولهذا لما سئل بعض الحكماء عن
حقيقة العشق قال : « دقّ عن الافهام مسلكه ، وخفي عن الادراك موقعه ، ١٢
وحارت العقول في كيفية تمكّنه » .

وقال بعض العلماء : « حد العشق امتزاج ظلّ الجمال بملكوية الأوصال » ،
وقال غيره : « العشق شدة الشوق إلى الاتحاد » . ١٥

ولا شك أن معناه اتحاد ذات المحبوب بذات المحب اتحادا عقلياً يوجب
غفلة المحبّ عن الشعور بجملته شغلا عنها بشهود محبوبه في ذاته بذاته . وقال
بعض المتقدمين : « العشق جنونٌ إلهي » . « يعني أن العشق لا يدبّر بعقل ولا ١٨

.....
١٤ الجمال : في الأصل « الجمال »

٣ تجري فيه أمورُ العاشق على ما يوجب صلاح بدنه بل خرابه وتشويهه : ﴿لأن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ (٢٧ «النمل» ٣٤) . لأن شهود الصفات الروحانية كلما قوي على المحب تحربت منه الصورة الجسمانية، وتشوشت الجملة الآدمية ، وبقدرة الغيبة في المشاهدة والفناء فيها يكون بقدر الإعراض عن مصالح البدن .

٦ (٣/٩) تنبيه : ولا شك أن نسبة العشق هي أمّ جميع النسيب العلوية والسفلية ، ولولاها لم يكن في العالم حركة ولا متحرك ولا كامل ولا مكمل ، فإن كل جوهر نوراني في العالم العلوي إما عاشق أو معشوق ، فسرت من ذلك نسبة العشق في جميع الكائنات حتى في الأجسام الحجرية ، فلئلا نجد بعضها يجذب بعضا بقوة عشقية خفية عن أذهان البشر ، كما قيل (من الطويل) :

١٢ فَوَاعَجَبَا لِلدَّهْرِ لَمْ يُخْلِ مِنْهُجَةً مِنْ الْعِشْقِ حَتَّى الْمَاءِ يَعِشِقَهُ الْخَمْرُ

واعلم أنه ليس في العالم شيء إلا وله مغناطيس يجذبه لطيفا كان أو كثيفا ومغناطيس النفوس شعاع نور الجمال فلهذا كان تعاشق الأرواح انجذاب بعضها إلى بعض حتى تتحد كما أن اتحاد الأجسام امتزاج أجزائها بحيث يستحيل تمييزها ، كامتزاج الماء بالماء والهواء بالهواء والنار بالنار ، إذ كان كل واحد منهما مجردا عما ليس من جوهره ، والنار ألطف هذه الأجسام العنصرية ، ولهذا تتقد في باطن الحديد ولا تدرك بحاسة البصر ، فإن تشبثت بجسم يُرى الجسم دونها لتكيفه بها ، فما ظنك بامتزاج النور بالنور ، فإن الأرواح أنوار مجردة فامتزاجها على غير امتزاج الأجسام بل اتحاد عقلي لا نسبة بينه وبين ما في الخارج لا تعلم حقيقته من النطق بل بالذوق (من الكامل) :

١٨ ير : في الأصل « يرى »

رَقَّ الرِّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ وَتَشَاكَلا فَتَشَابَهَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرٌ

- (٤/٩) ومما يدلُّك على صحة اتصال النفوس الجزئية بعضها ببعض ٣
ما نجده كثيرا من موت أحد المتعاشقين بإثر موت الآخر لأن نفسيهما الناطقة
واحدة ، والواحد لا يتجزأ فيموت بعضه ويبقى بعضه ، إذ هو جوهر
لا تركيب فيه ، على أن الموت إنما هو انقطاع تدبير النفس عن البدن ، فالملت ٦
على الحقيقة الجسم لا النفس .

- (٥/٩) ولقائل أن يقول : كيف تدبّر النفس الواحدة جسدين أحدهما
جسد العاشق والثاني جسد المعشوق ، ولو كان ذلك صحيحا لكان جميع ٩
العلوم والاعراض النفسانية فيهما متساوية وذلك غير ممكن ؟
فاعلم حينئذ أن جسد العاشق لا تدبّره النفس الناطقة ولا يظهر نورها
عليه وإنما تدبّره النفس الحيوانية لا غير من أجل جسمه الحي ، فإن العشق ١٢
إذا استولى على صاحبه تركه ذاهلا شبه المغشي عليه لا يسمع ولا يبصر إلا
حبيبه ، به يسمع وبه يبصر ، وكأنّه في عالم خاصّ به هو فيه موجود بحبيبه
فان عن نفسه ، ولذلك يفرّ عن كل شاغل ولا يألف الناس إذ لا شركة له ١٥
معهم في الجزء الخاصّ به الذي هو نسبة الالفه ، بل يكون في سائر أحواله
مُعْرَضًا عن أحوال العقلاء شبه المجنون ، كما قالوا : « العشق جنون إلهي » ،
وإذا كان العشق جنونا فالجنون فنون ، كما قيل (من الكامل) : ١٨

ولقيتُ في حبّيك ما لم يلقه في حبّ ليلى قيسُها المجنونُ

٢-١ المشهور أنها للصاحب بن عباد، وهما في معاهد التنصيص (١٢٧٤) ٢٠٥ وديوان المعاني
للعسكري ٣١٠/١ والفتوحات المكية ٢١٤/٣ و ٢٩٠ بغير عزو

١٤ خاص : في الأصل « خاص »

١٦ نسبة : كذا ضمح في الهامش والذي في الصلب « شبه »

لكنني لم أتبع وحشَ الفلا كفعلِ قيسٍ والجنون فنونُ

وكما قيل ايضاً (من البسيط) :

٣ قالتُ جُننتَ على رأسي فقلتُ لها العشقُ أعظمُ مما بالمجانينِ
العشقُ ليس يُفريقَ الدهرَ صاحبهُ وإنما يُصرِّعُ المجنونُ في الحينِ

(٦/٩) تنبيه : ومقام العشق أقصى مقامات الذهول والغيبة عن الحسّ

٦ والاتصال بالعالم الروحاني ، فإذا وصل الانسان إلى هذا الحدّ من الغيبة عن

نفسه اطلع على أسرار الغيوب واخبر بها معاينةً لا على سبيل الحدس وغلطات

الظنون ، بل على الكشف والمشاهدة ، إذ لا مانع للنفس من مشاهدة الغيب إلا

٩ الاشتغال بشغل الحواسّ وتصرفها في العالم الأسفل . ونحن نجد الحواسّ

الظاهرة إذا حبُست بالنوم شاهدت النفس الأمور الغيبية لتفرغها عن الشغل

بما تورده عليها الحواس فإنها حبُجُبُ مانعةٌ من الادراك الغيبي ، على أن

١٢ تفرغها عند النوم عارض ، فما ظنك بفراغها إذا كان دائماً مستمراً ، فلا

محالة يكون اطلاعها على الغيب أدوم ، وإخبارها عنه أصفى ، وهذا تابع

لصحة الاتصال بالعالم العلوي وهو يختلف ، فإن كان الاتصال بالأنوار القدسية

١٥ كان الإخبار بالغيب الكلي ، وإن كان الاتصال بالنفوس الجزئية كان الإخبار

عن الغيب الجزئي ، وهو غيب المحبوب لاتصال النفس ، كما قيل (من

الرملة) :

١٨ روحه روحي وروحي روحه إن يشأ شئت وإن شئت يشأ

واتصال النفسين هو اتحادهما حتى لا يكون بينهما فرق إلا بالجسم ،

والجسم زائد على ماهية النفس ، والانسانية تُعقل في الذهن دون جسم ،

إذ هي معنى كليّ يُتصوّر في النفس دون أمر زائد من شكل أو حامل وسائر الاعراض التي لحقت في الخارج ؛ ولا يفهم العقل حقيقة الانسانية إلا مجردة عن هذه العوارض على ما برهن عليه في موضعه ، وفيه يقول (من البسيط) : ٣

يا خادماً الجسم كم تشقى بخدمته أتطلبُ الربح فيما فيه خُسرانُ
عليكَ بالنفس فاستكملْ فضائلها فأنتَ بالنفس لا بالجسم إنسانُ

- (٧/٩) تنبيه : والنفوس كما سبق إذا صفت ورقّت تشبّهت بالملأ الأعلى ٦ وانتقشت فيها أمثلة الكائنات ، واطلعت على المغيّبات ، وأثّرت في السفليات ، كما أن الحديد المحمّاة إذا تشبّثت بالنار وتكيّفت بها صارت تؤثر في الأجسام أثرها ، لأجل التشبّه بها ، فمن أجل ذلك كان تأثير النفوس ٩ في هذا العالم على قدر تشبّثها بالعالم الأعلى ؛ وإذا كانت النفوس بهذا الحال صحّ لها اسم الكمال الانسانيّ ، أعني التشبّه بالعالم القدسي بحسب القسمة الإلهية والخطوة الربانيّة . وإذا وصل العارف إلى هذا الحدّ عاين الجمال الكلي الذي ١٢ هو معدن الجمال الجزئيّ وعنصره وهام به ، فيستعدّ بذلك لإفاضة نور الحقّ الفائض من لدنه فيتوصل به إلى جمال واجب الوجود لذاته فيتلاشى في شهوده بالكلية حتى تنعدم ذاته بالجملة ، ويصير من جملة المقربين ، وذلك بأن ١٥ يتوالى عليه إشراق نور الحقّ تعالى من فيض الجود ، وتستعدّ ذاته لقبوله بشدّة صفائها . وكلما صفت قبلت النور ، وكلما أشرق عليها النور ازدادت صفاءً ، حتى تصير كلها نورا قدسيّاً ، فينكشف لها عن جمال الحضرة ١٨ العلية الإلهية ، وترُفّع لها حُجُب الجلال عن سبحات الجمال ، فتُعّين من جمال الحضرة الإلهية « ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » . وكيف يُطمع في فهم حقيقة ما لم يخطر على قلب بشر أو كيف ٢١ يمكن العبارة عن ذلك ؟ (من البسيط) :

قد كان ما كان مما لست أذكره فظنّ خيرا ولا تسأل عن الخبر

- (٨/٩) وعند ذلك يحصل لها من اللذة والسرور ، والابتهاج والحبور ، ما يشغلها عن النظر إلى ذاتها فضلا عن غيرها ، إذ النظر إلى ذاتها حجاب لها ٣
عن كمال المشاهدة ، فتفنى عن نفسها ، ثم ترى أن استشعارها للفناء عن نفسها شائب في صفو المشاهدة ، فتفنى عن رؤية فنائها ، فتصل بذلك إلى بقائها السرمدي الذي هو البقاء برّبها لا بذاتها ، إذ ذاتها فانية ، وذلك غاية قدسها ٦
ونعيمها ، وتسمع الكلام الإلهي : ﴿ يا أيّها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي . ﴾ (٨٩ « الفجر » ٢٧ - ٩ (٣٠) ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . ﴾ (٣٩ « الزمر » ٧٣) .
فهذه صفة عباد الله المقربين الذين لا يشغلهم عن مشاهدة أنوار جمال الله وجلاله شاغل .

- (٩/٩) ومن لم يسمع هذا النداء في هذه الدار لم يسمعه غدا في دار القرار ١٢
إذ السابقة على وفق اللاحقة . فإذا تمت هذه الحالة التي تسمى الفناء ، وعدم من النفس الميل إلى الخلق بالكلية وتجلّى لها الحق بصفة جلالة وجماله ، وشهدته على الحقيقة موصوفا بالصفة التي تليق بكماله ، فحينئذ يصح الوصول ١٥
وتكمل السعادة القصوى . فإذا شهد العارفون الحق على ما هو عليه بعدم ذواتهم من غير حجاب ، إذ الحجب إنما هي من صفات الأجسام وإلا فالحق تعالى ليس عليه حجاب في ذاته ، ولا يليق بجلاله وإنما الحجب على الخلق من ذواتهم ، فإذا ارتفعت عنهم الحجب المنوطة بهم المانعة لهم تجلّت لهم جميع ١٨
صور الموجودات كلها فيرون العالم كله بالله ، إذ رؤيتهم لله مشتملة على جميع المرئيات فيستدلّون عليها به كما استدلّ غيرهم عليه بها ، لكنهم ٢١
يرونها بالنظر إلى موجدتها عدما محضا لا وجود لها من ذاتها وإنما وجودها

١ قد كان البيت : لابن المعتز من الحمريات

معار لها من واهبها ، فيتحققون معنى قوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه
له الحكم وإليه ترجعون . ﴾ (٢٨ « القصص » ٨٨) ، إذ كل ذرة في العالم لها
وجهان : وجهٌ إلى ذاتها ووجه إلى ربها ، فالذي لها من ذاتها هو وجهها ٣
الهالك وهو محض العدم ، والذي لها من خالقها هو الباقي لأنّه وجه الحقّ
و﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ ، أي ما للأشياء من ذواتها عدمٌ ، وما لها من
خالقها فهو الوجود الباقي ، فلا باقٍ إلا الحق لا سواه . (من الوافر) : ٦

شهدتُ وما شهدتُ سوى آياي وما أُحييتُ من ليلي سوائي
شهادةً من . أصار الفصل وصلا . وسوى في السرايل السواء
وسار إليه منه وفيه حتّى رأى عين الحقيقة في العماء ٩
فيفنى ثمّ يفنى ثمّ يبقى فكان فناؤه عين البقاء

(١٠/٩) إلا أن هذا الحال لا يكون في هذا العالم إلا لوائح وبوارق ،
ولا يدوم بالكلية إلا بعد فراق هذه الأجسام إذ تدبير ضروراتها من أعظم ١٢
الحجب عن ذلك المقام الجليل . والواصل إلى هذا المقام هو الواصل على الحقيقة .
والناس مختلفون في تحصيله وفي دوامه على قدر ما سبق لهم . (من الطويل) :
سقى الأوطفُ الهطالُ دارك بالليوى وَرَوَّ اكْـمـا يا أيّها العَلَمَانِ ١٥
فعندكما معنّى وإن كان غائبا أراه بقلبي فهو منّي دانِ

(١١/٩) وقد يتفق لبعض الواصلين أن يُردّ من هذا المقام إلى الخلق
رحمةً من الله سبحانه بهم ليوصل إليهم هذه الرحمة الإلهية فيكون تنزله ١٨
إلى الخلق بالله لا بنفسه ، ويتصرّف في العالم بأمر الله ، ويُجري الحقّ تعالى
على يديه من خوارق العادات وضروب الافادات ما يشهد له أن سائر تصرفاته
عن أمر الله تعالى لا عن نفسه ، إذ لا يرى نفسه ولا يلاحظها إلا من حيث هي ٢١

٨ - ١١ السواء ... العماء ... البقاء : في الاصل « السوي ... العماي ... الباقي »

ملاحظة لربه . ومن شرط هذا العارف الولي أن يكون محفوظا مما يخالف الشرع ، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما ، فهذا وأمثاله بهم يرحم الله تعالى الخلق . قال عليه السلام : « بهم تُمَطَّرُونَ وبهم تُرَحَّمُونَ » .
 ٣ فرحمة الله تعالى لعباده بعث الأنبياء عليهم السلام لهم ليُبلِّغُوهم إلى معرفة الله تعالى الموصلة إلى الرحمة الكبرى . ولهذا قال تعالى : ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢١ «الأنبياء» ١٠٧) . فمن كان أكثر أخذًا لما جاءت به الأنبياء عليهم السلام كان أوفر نصيبا من هذه الرحمة الإلهية الماثلة في العالم بواسطتهم .
 ٦ والكمال في الوراثة النبوية هو القطب والغوث وهو خليفة الله تعالى في هذا العالم . وهذه الرتبة كما قلنا آخر رتب الانسانية وأول رتب الملائكة ، إذ حاصلها الخلود في جوار الله تعالى والقرب منه ، إذ القرب من الله تعالى بالصفات لا بالأجسام ، تعالى قدسه عن ذلك .

١٢ (١٢/٩) إشارة : وإذا كانت محبة الله تعالى ومعرفته لا يُوصَلُ إليها في الحقيقة بشيء سواه فهو العارف والمعروف ، وهو المحب والمحبوب ، وهو الكل ، فكل وجود حقيقي وجوده ، وكل شهود شهوده . (من الكامل) :

١٥ غابتُ رسومُ شواهدِي لما رأيتُ خيامهمُ
 وفنيتُ عن بشريتي لما سمعتُ كلامهم
 وعديمتُ رسمَ حقيقيتي لما شربتُ مُدامهم

١٨ حكى أن طارقا طرق باب أبي يزيد البسطامي رحمه الله فقال : ها هنا أبو يزيد ؟ فصاح به أبو يزيد : يا هذا ، أبو يزيد يطلب أبا يزيد فما رآه . وهذا من قوله يشعر بذهابه في الله وغيبته عن نفسه ، إذ المحبة خمر العقول ، فما ذاقها أحد إلا سكر . فمنهم من كان حظّه منها النشوة وهم أرباب المحبة ،

٣ تمطرون ... ترحمون : في الأصل بلا تنقيط حرفي المضارع
 ه الموصلة : في الأصل « الموصل »

ومنهم من بلغ به السكر إلى الخروج عن أطوار البشرية وهو الطافح سكرًا ،
وهذه صفة العُشّاق ، فإن الطافح لا يميّز من مصالح بدنه شيئًا ، بل عشقه
قد استولى على عقله البشري ، فهو يترجم عنه ويُظهر له ما فيه مما كان غائبًا ٣
عنه ومجبوبًا بذاته دونه ، وكما أن الخمر تنطق على لسان شاربها بما تتضمنه
ذاته من غير اختيار ولا قصد ، فكذلك الطافح عشقا تُظهر له خمرُ عشقه سرّ
معانيه الربانية ، وبديع شمائله الروحانية ، وتُفني وجه عقله المقبل على عالمه الأسفل ، ٦
وتُظهر وجهه المقبل على الملا الأعلى الذي يتلقّى منه الأنوار الجمالية ، فيُقال
له (من الرمل) :

أظهرتُ سرّ معانيك الشّمولُ فبدا الغائبُ واستحيا العذولُ ٩
وأعارتك الحُميّا نشوةً علّمتُ بانّ الخميّ كيف يَميلُ

(١٣/٩) إلا أن العاشق إذا لم يكن له اختيار ، وتوالى عليه هذا السكر
بتوالي الشرب ، فكلما شرب شيئًا زاده ظمًا ، وكلما ظمى شرب ، إلى أن ١٢
تُمازجه أنوار المحبة فيصير حينئذ سكره من ذاته لا من غيره فيستحيل عليه
الصحو . (من الوافر) :

أيا نشوانَ من خَمَرٍ بفيه متى تصحّو وريقك خنّدريسُ ١٥
أرى بك ما أراه بندي انتشاء ألحّ عليه بالكأسِ الجليسُ

فالمحبة هي الشرب بكأس الغرام ، والانتشاء من صفو ذلك المدام ، ويلزم
عنهما حفظ الأسرار الإلهية ، وصيانتها عن سائر البرية ، لغيره الحق على سرّه ١٨
المكنون ، أن يتحلّى به من لا يجهد في إخفائه ويصون ، وأما العاشق فمعذور ،
لأنّه مأخوذ عن نفسه مجرد عن حسّه ، قد تولاه الحق تعالى بحفظه ، وأجرى
الحكمة على لسان عقله ، لا لسان لفظه . فهذا ما يمكننا من بسط القول في ٢١
هذا الباب والاشارة إلى مشرب الأحباب .

٩ فبدا : كذا صحح في الهامش والذي في الصلب « اختفى »

الباب العاشر

في الفضائل التي تكتسبها

النفس بطريق المحبة

٣

(١/١٠) اعلم أن المحبة تأثيرها في النفوس الانسانية اللطافة والصفاء والركة وسائر الأوصاف المكملة لها التي تستعد بها للعروج إلى الملا الأعلى والاطلاع على أسرار عالم الغيب على ما أشرنا إليه .

٦

أما تأثيرها صفاء النفس ورقتها فدليلة أنا نجد أجلاف الاعراب رُعاء البهم ومن جانسهم من أغشام الأمم وجُهاهم الذين لم يتصفوا قطّ بعلم ولا حكمة إذا أحبوا رقت طباعهم ، وصفت أذهانهم ، وشرفت نفوسهم ، وعلت همهم ، ولطف إدراكهم . ومن جملةهم مجنون ليلي فإن المحبة أنطقته بالحكمة نظماً ونثراً ، وبلغت به غاية لم يبلغها كثير من الناس بالرياضة ، حتى صارت أحواله حُجة على المحبين ، وأقواله شاهداً على صحة دعواهم ، ولولا المحبة التي اتصف بها لم يخرج عن أهل طبقته من الجهّال . هذا في هذا الصنف فما ظنك بذوي النفوس الفاضلة والرياضة الكاملة !

١٢

وقد حُكي أن بهرام كان له ولد قد عزم على أن يرشحه للملك بعده ، فنشأ ذني النفس ، كليل القريحة ، ساقط الهمّة ، فوكل به أبوه من يعلمه الحكمة وآداب الملوك ، وكان يسألهم عن أحواله فيُخبرونه بما يسوءه إلى أن قال له بعض معلميه : إننا كنّا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صرنا به إلى اليأس منه ، وذلك أنّه رأى ابنة فلان المرزباني فعشقها فهو لا يهذي إلا

١٨

- بأمرها ، ولا يتشاغل إلا بذكرها ، فقال بهرام : الآن رجوت صلاحه ، ثم دعا المرزبان أبا الجارية وقال له : إني مُسِيرٌ إليك سرّاً فلا يعدونك ! ثم أخبره بخبر ابنه وابنته وأعلمه أنه يريد أن يُزوّجها إياه ، ثم قال له : مرها باطماعه ٣ في نفسها ومراسلته من غير أن يراها فإذا استحكمت عشقه فمرها أن تتجلى عليه وتهجره ، فإذا سأها عن السبب في ذلك فتقول له : إني لا أنكح إلا الملك أو لمن يكون له همّة ملك وإن ذلك هو الذي منعي عن مواصلتك . ٦ فإذا تمّ هذا كله فأعلمني ، ولا تُطلعها على ما أسررتك إليك . ثم قال للمؤدّب ولده الملازم له : خوفه بي وشجّعه على مراسلة الجارية . فلما تمّ ذلك كتبه على ما أمر به بهرام علم الفتى السبب الذي هجرته لأجله الجارية فأخذ في أنواع الأدب وطلب الحكمة وجمع الخصال التي تصلح للملك حتى برع فيها ، وبلغ ذلك إلى بهرام فسُرّ به وبعث إلى مؤدّبه أن الموضع الذي وضع ابني فيه نفسه من حب هذه الجارية لا يزري به فمره أن يرفع إليّ أمرها ويسألني أن أزوجه إياها ، ففعل ذلك فزوجه إياها وأمر بتعجيل نقلها إليه ، ثم قال له : يا بني لا يضرّك منها عندك مراسلتها إياك فإني أمرتها بذلك ، وهي أعظم الناس منّةً عليك بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخلّق بأخلاق الملوك ، ١٥ ثم إنّ أباه زاد في تكريمه وعقّد له الملك بعده .
- فقد علّم من سياق هذه الحكاية وأمثالها أن المحبة تفتح على النفس أبواب الفضائل وتبلغ بها رتب السعادات إما الدنيوية أو الأخروية . والأعمال ١٨ بالنيّات ، ولكلّ امرئ ما نوى .

- (٢/١٠) ولقد تبلغ المحبة بأربابها إلى أحوال تكشف لهم فيها عن أسرار الغيوب ولا سيما غيب المحبوب ، فقد شاهدنا من يُخبر محبوبه بكلّ خفيّ ٢١ وجليّ من أحوال نفسه ويدعوه من بُعد فيجيبه مشاهدةً لا يتطرق إليها احتمال . وقد ذكر أهل النقل كثيراً من هذا المعنى ، فلا نطول بذكره .

(من الطويل) :

٣ أَلَا حَظُّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ وَأَدْعُوهُ سِرًّا بِالْمُنَى فَيُجِيبُ
مَلَأْتُ بِهِ سَمْعِي وَقَلْبِي وَنَظْرِي وَكَلَّتِي وَأَجْزَائِي فَأَيْنَ يَنْغِيبُ

(٣/١٠) فصل : وأما كون محبة الجمال المودع في أنواع الموجودات

٦ تُسَبِّهَ النفوس الزكية من غفلتها، ثم تعرج بها إلى عالمها، ثم منه إلى حضرة القدس،
فاعلم أن جميع ما في هذا العالم الأسفل من بهاء وجمال ونور واشراق المفرق
على ذوات الموجودات إنما هو أثر أنوار العالم الأعلى، فمنه هبط، وعنه أشرق،
ليكون أولا دليلا عليه وموصلا آخرا إليه . فالذي يلوح على الأجسام النباتية
٩ من محاسن أصناف النوار ، وبدائع أشكال الأزهار ، فإنما ذلك مما أشرق
على النبات من نور جمال النفس النباتية ، وما يلوح على الحيوان من جمال
أعضائه وتناسبها وحسن شكلها فإنما ذلك من نور نفسه الحيوانية ، وما يظهر
١٢ على عالم الانسان من حسن الشماثل ولطافة المعاني والحسن الرائق الذي هو
أدق في النفوس من السحر فإنما ذلك سر الجمال المشرق على تلك الأعضاء
الجميلة من نور النفس الانسانية . وجميع هذه النفوس الثلاث إنما تستمد نورها
١٥ وجمالها من جمال العالم العلوي، وهذه وسائطه والعالم العلوي هو ينبوع أنوار
القدس ، فهذا الجمال القدسي هو المتجلي للعالم علوا وسفلا بأنواره المقدسة .
لكن كل موجود يقبل من هذا النور الإلهي بقدر ما جعل الحق تعالى فيه
١٨ من القبول ، فما من فرة في العالم إلا وقد أشرق عليها نور الحق تعالى ، لكن
القبول يختلف فيها . (من الكامل) :

٢١ بالنور يظهر ما ترى من صورة وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره حسا ويُدركه البصير من الورى

؛ الجمال : في الأصل « الكمال » || الموجودات : في الأصل « الموجودات »

فإذا نظرت بعين عقلك لم تجد شيئا سواه على الذوات مصورا
وإذا طلبت حقيقة من غيره فبذيل جهلك لم تزل متعثرًا

- والعارف إذا شاهد هذه الأنوار المودعة في هذه القوالب الكثيفة ونقلها
البصر إلى الخيال ، ثم جرّدها الفكر من علائقها وأوضاعها الجسمية ، وأوصلها
إلى النفس الناطقة فشهد بها في ذاتها بذاتها واتحدت بها عرجت بها إلى محلّها
الأعلى ، وأفق جناها الأقدس الأسنى . ولهذا نجد من عشيق شخصاً حسن ٦
الصورة الآدمية تامّ المحاسن ونقل محاسن ظاهره المجردة إلى نفسه الناطقة ثم
غاب ذلك الشخص عن بصره مُدَّةً ، أو لم يغب ورآه بعد ذلك وقد ذهبت
تلك المحاسن عن هيكله وأفلس شمس الجمال عن ظلّل جسمه ، فإنه ٩
لا يحزن إليه كما كان أولاً ، لأنه ينظر إلى نفسه فيجد فيها تلك المحاسن
مصوّرة على ما كانت عليه من الكمال لم تتغيّر ولم تبدّل بل أطف مما كانت
عليه وأنسب إلى نفسه اللطيفة ، ولم يبق في الخارج منها شيء ، فيقول : ﴿ لن ١٢
نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون. ﴾ (١٢ «يوسف» ٧٩) ، ويعلم
حقيقة أن المعشوق إنما هو تلك الصورة المجردة الحاصلة عنده التي لا تقبل
التبديل ولا التغيير ، لا ما في الخارج . وإنما كان جسم ذلك الشخص محلاً ١٥
لها وشرطاً في حصولها حيناً ما ، وقد فارقتهُ الآن فيحبّ نفسه لما بها من
صورة محبوبه الحقيقية ويستغني عن غيره ويستريح من ألم الفرقة وعذاب البعد
لتمكّنه في مقام الاتحاد . فهذا هو العلة التي لأجلها يهجر المحبّ أطلال الجسم ١٨
إذا رحل عنها الحبيب ، فيقول (من الكامل) :

بعَدَ النقا وفراقٍ جيران النقى لا أمرَع الغورَ الغمام ولا ستقى
وجفّت غَوادي المُنْزَنَ وادي ضارجٍ والمنحني من بعدهم لا أورقا ٢١

٢٠ جيران النقا : في الأصل « جيران النقى »

ما النفع بالاطلالِ وهي عواطلٌ يوماً إذا شَمِلُ الخليطِ تمزقاً

(٤/١٠) ومن لم يكن بهذه الحال وانتقل من محبة شخص إلى شخص

آخر ولم يحصل له هذا المقصود فقد ضيَّع عمره ، وشبَّت عزمه ، وأنعب نفسه ، وشقي الشقاوة العظيمة ، إذ المقصود الترقى إلى واجب الوجود ، لا التردّد في حضيض عالم الأجسام ، أعاذنا الله من ذلك . (من البسيط) :

واضيعة العمر لا الماضي انتفعتُ بهِ ولا حصلتُ على عِلْمٍ من الباقي ٦
يفنى الزمان وآمالى مُصرمةٌ مع مَنْ أُحبَّ على مطلقٍ وإملاقٍ
قد كنتُ من أملي محبوسٌ وصلكمُ فوقَ الهجرُ لي منكم بإطلاقي

(٥/١٠) قنبيه : لعلك أن تقول : لاشك أن المحبة تؤثر في النفوس ٩

من الرقة والصفاء ما يصلح به أن تكون سببا لحصول السعادة الأبدية ، وأفتا لشروق الأنوار الربانية ، لكننا وجدنا كثيرا ممن تعرّض للمحبة وقف منها على محبة حُسن الصورة الشخصية ولم يكن له انتقال عن عوارض الجسوم حتى وافته منيته وهو على ذلك . فنقول : إذا تقرر أن المحبة تؤدي بالفطن ١٢

اللبب إلى تيسل السعادة فذلك شيء فيها بالذات ، وكون قوم حصلوا منها على محبة مجرد الجسوم لضعف آلة السلوك فيهم ، ووقفوا معها ولم يكن لهم ترقى إلى سوى ذلك أمرٌ عارضٌ في المحبة لا يقدح في فضيلتها ، كما لا يقدح ١٥

في فضيلة الماء العذب البارد كون قوم من الناس شربوه فشرقوا به فماتوا ، فان كونه يُروى العطش أمرٌ له بذاته ، وحصول الشرقة به لقوم ما أمرٌ عَرَضِيّ ١٨

فيه ، ولا يقدح الأمر العرضي في الذاتي . فكذلك المحبة تُصنّف جوهر النفس فيحصل لها بذلك الصفاء المناسب للجواهر الروحانية ، فإذا حوذي بها شطر المحبوب ٢١

انطبع فيها ، كالمرآة الصقيلة إذا حوذي بها الصورة أي صورة كانت . فمن كان مطلوبه الجانب الأعلى انصرفت همته إليه واستقبل شطره . ولا

- شك أن النفوس إذا رسخ فيها حُبَّ المحسوسات حتى أفسد جملة جوهرها لم يبق فيها مطمعٌ للتوجه من هذا الطريق ، لكن لها طُرُقٌ أخرى من طرق أهل الرياضة فمنها تتوصل إن سبقت لها سابقةٌ خير . وإنما تسلك من طريق المحبة ٣ النفوسُ المتيقظة القوية الإدراك بطبعها ، فإن هذه لا يرسخ فيها حبُّ المحسوسات رسوخها في النفوس الضعيفة أو الجبانة . ولم يزل أئمة الصوفية يتفرسون في السالك إلى الله تعالى فإن علموه نازل المهمة كليل الخاطر أشغلوه ٦ بطواهر العبادة من الصوم والصلوة ، فإن كان أنهمض من ذلك قليلا ألزموه الفراغ والخلو والذكر ، ولا يبيحون طريق المحبة إلا لمن تحققوه زكي النفس نافذ الخاطر عالي المهمة ، ويزجرون عنها من لم يتصف بهذه الصفة بل يحدرونه منها صيانةً بها عن غير أهلها : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا ﴾ (٥ « المائدة » ٤٨) ، ولا شك أن الورد يتنفع به أقوامٌ بشمّه ويضرُّ بآخرين فيورثهم الزكام ، كما قيل في ذلك (من الخفيف) : ١٢

أنا كالورد فيه راحة قومٍ ثمّ فيهم لآخرين زكامٌ

- (٦/١٠) تنبيه فإن قلت: أليس كل ذرة في العالم من صُنع الله تعالى ودالةً عليه دلالة الصنع على الصانع ؟ فلا شيء استدلّ بالصورة الانسانية خاصةً ١٥ وجعلت معراجك منها إلى الملأ الأعلى ؟ وهلا كان نظرك هذا واعتبارك بالجمادات والنبات والحيوان غير الناطق ؟ فإن في كل جنس من هذه الأجناس من بديع الصنعة وغريب الحكمة ما لا يمكن العبارة عنه ، مع أن المتأمل لهذه ١٨ الأشياء لا تُخشّي عليه منها آفة توجب انقطاعه وانعكاسه ! فأقول : إذا ما كانت المعرفة بكمال الصانع إنما هي بقدر النظر في كمال صنعته ، والوقوف على جماله إنما هو بالوقوف على جمالها ، إذ الصنعة أدلُّ شيء على ٢١ صانعها ، فمن العلوم أن عالم الخلق ينقسم إلى ثلاثة أقسام : جماد ونبات

- وحيوان ، والحيوان ينقسم إلى ناطق وهو الانسان وغير ناطق وهو البهائم ، فلا شك أن الاستدلال بالنبات أكمل دلالة من الاستدلال بالجمادات ، لما في
- ٣ النبات من الكمالات المدومة في الجمادات ، فإن النبات لما اعتدل اعتدالا فارق به الجماد من أن فيه النمو والاعتدال والتوليد، وهَبَّه الله تعالى من محلّ الجود الإلهي نفسا نباتيةً أظهرت صورته الجميلة ، فمن أجل ذلك السرّ الإلهي تبتهج النفس الانسانية بمطالعة الأزهار الأنيقة، وحسن نضارة الرياض الأريضة،
- ٦ فتتجلى بها همومها وتنصرف عنها شجونها، وليس ذلك إلا لما بها من آثار هذا الجمال الذي وهبها خالقها وأفاضه عليها من محلّ الجمال العلوي ،
- ٩ فإذا ذوّت تلك النضارة وصوّحت تلك الغضارة انصرفت النفس الانسانية عن حبة الصور النباتية وإن بقيت أجزاءها الجسمية على حالها، لعدم المعنى الروحاني الزائد على الجسمية المناسب للنفس الزكية . وكذلك الاستدلال بالحيوان أكمل من الاستدلال بالنبات، لما في الحيوان من الكمالات المدومة في النبات، ولهذا
- ١٢ قبيل <من> النفس ما هو أكمل مما قبّله النبات، واختصّ بالحواسّ الظاهرة والقوى الباطنة المدركة التي هي موادّ العلوم . فلذلك كانت النفس الانسانية تألف الحيوان أكثر من النبات ، لوجود ما فيه من الصفات المناسبة لها أكثر مما في النبات . ولهذا نأنس بالحيوان ونلتذّ بأصوات الطيور الرخيمة ونستحسن أجياد الظبا وألحاظ المها أكثر من عيون النوّار وأغصان الأشجار ، ولذلك
- ١٨ نجد كثيرا من الناس يحبّ شيات الخيل وتناسب أعضائها، وهو زائد على المنفعة المرادة منها ، وليس ذلك إلا لما فيها من جمال نفسها الحيوانية، كما قيل (من الطويل) :

٢١ وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجربُ

٧ فتتجلى : في الأصل « فيتجلى »

٨ الجمال : في الأصل « الكمال »

٢١ - ص ١/١٢ وما الخيل الخ : ديوان المتنبي (بشرح المكبري) ١/١٨٠

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسنُ عنك مُغَيَّبٌ

- ولأنما يشير إلى حسنها النفساني . ولهذا نجد طائفةً من الأمم من شدة إفراط عشقهم لجمال الحيوان البهيمي عبدود ، كما يُحكى ذلك عن طائفة من الكفار ٣ من جُهَّال الأُمَم ، إذ لم يكن لهم نظرٌ إلى صانعها تعالى الذي وهبها ذلك الجمال . وأما الاستدلال بالانسان العاقل الكامل الذات ، الجميل الصفات ، فذلك أكملُّ وأفضل دلالةً من جميع ما تقدّم ، لاجتماع الكمالات الموجودة ٦ في النبات والحيوانات كلها فيه ، بل فيه من الكمالات ما لا يوجد فيها أبداً ، ولولا أن الإنسان جامعٌ لما في النبات والحيوان من القوى النباتية والحيوانية وله بذلك معها شركة لم تُستحسن محاسنه ، فإن الاستحسان لا يكون إلا بمناسبة ما ، ٩ فالإنسان بكونه يغتذي وينمي ويلد قد شابه النبات ، وبكونه يُحسّ ويتحرك بالارادة ويشتهي ويغضب أشبه الحيوان ، وبكونه له نفس ناطقة عالمة بربّها منتقشة بالمعارف العقلية والعلوم اللدنية حريصةٌ على اكتساب الفضائل مُحِبَّةٌ ١٢ في الكمالات أشبه الملائكة ، فليس في العالم أكمل من الانسان لأنّه جملة واحدة قد جُمع فيها جميع ما في العالم الأكبر ، ولهذا أشرق عليه من النور الإلهي أكملُّ مما أشرق على غيره ، وهي اللطيفة الربّانية القدسية التي نسبها الحق ١٥ تعالى إلى نفسه فقال : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رَوْحِي ﴾ (١٥ » الحجر ، ٢٩) . ولم ينسب البشر إلا إلى الطين تشريفاً لهذه الروح وتعظيماً ، ثم أودع فيها من الجمال الفائق ، والنور الرائق ، والحسن الكامل ، والصنع الشامل ، ما تنسب ١٨ له العقول ، وتنجذب حبّات القلوب ، فأَيّ الاستدلال في هذا الوجود أتمّ من الاستدلال بها ، إذ هي نسخة الوجود الكلي ، وزمرة العالم العلوي ؟ ومتى يوجد في الدلالة على بارئها مثلها ، وأيّ صنعةٍ أتقن من صنعها ، أو جمالٍ ٢١

٣ أتمّ من جمالها ، أو كمالٍ أبدعُ من كمالها ؟ وهل تكمل النفوس المشتاقة في الكمال بشيء سواها إذا أدركت كمالها ، أو تصوّرت جمالها ؟ وهل تتخلّص النفوس الأمّارة عن عشق بدنّها وحبّ سجنها المانع لها من اقتناص المعارف ، والاستعداد لقبول العوارف ، بشيء أعظم من عشقها ؟

. (٧/١٠) ونزידك على هذا بيانا فنقول :

٦ لو أنّ عالما من العلماء ذُكر لنا عنه علمٌ ، فأردنا أن نستدلّ على مبلغ علمه وقدرته بما بلغ عنه ، فألّفينا له ثلاثة مصنفات : الأول منها يشتمل على عجائب مدينة واحدة ، والثاني يشتمل على عجائب إقليم من الأقاليم ، والثالث يشتمل على عجائب العالم بأسره ، فإنّا لا نشكّ أن دلالة التصنيف الثالث المحيط بعجائب العالم وما فيه من الإحكام والاتقان أعظم وأدلّ على علم المصنّف من دلالة الثاني ، والثاني أعظم دلالةً من الأول ، فالمصنّف الأول هو عالم الأجسام الجمادية ، والثاني عالم الحيوان غير الناطق ، والثالث عالم الانسان ، فدلالته على بارئته أعظم من دلالة سائر المخلوقات لاشتماله على جميع ما اشتملت عليه من الإحكام والاتقان ، فهو نسخة كتاب الوجود وسر العالم الأكبر على ما تقدم بيانه .

١٥ وأما قولك إن الاستدلال بالجمادات والنبات أسلم من الآفات الصارفة عن تمام السلوك فقد تقدم بيانا أن السالكين لطريق المحبة إنّما هم أهل النفوس القوية النظر ، الكاملة الطبع ، النافذة البصيرة ، وأما من يكون جبان النفس ضعيفا فهو ينقطع في أول مراتب الكون وهو الجماد ، وربما سقط ، فإن طائفة أحبوا النار وهو جماد واعتقدوا كمالها حتى عبدوها وهم طائفة المجوس ، وآخرون عبدوا الحجارة وهم الهنود ومن قلّدهم في ذلك من الروم والعرب ، وآخرون عبدوا الشجر وهم أيضا طائفة من الأعراب ، وآخرون عبدوا

٦ علم : في الأصل « علما »

١٧ فقد : في الأصل « وقد »

- الحيوانات البهيمية فلم ينفع هؤلاء لما قصر ادراكهم وضعف فهمهم شيء ،
 وكلُّ مُيسَّرٍ لما خُلق له . والكامل من الناس من يصل إلى الحق تعالى من
 الطريق الأكمل ، ولا أكمل من الاستدلال على الصانع بأكمل صناعته وهي الذات ٣
 الانسانية ، فليس في العالم أكمل منها وليس يضرُّ كمال الشمس كونها تحقق أنوار
 عيون الخفافيش . وقد ضلَّ كثير من الناس من كتاب الله وفيه الهدى والنور
 وهو الحق المبين والصراط المستقيم ، فلم يقدح ذلك في كونه هدى ونورا ،
 قال الله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ (٢) « البقرة » (٢٦) .
 ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ﴾ (٣٩) « الزمر » (٣٧) . (من الطويل) :
 ومن لم يكن للحقَّ أهلا أضربه كإضرار نور الشمس للأعين الرُمَدِ ٩

- (٨/١٠) تنبيه : فأما محبة صور الأجسام الجميلة مقرونة بقضاء شهوة
 الفرج لا لقصدٍ فوق ذلك كما هو مشهور من محبة حُثالة ، العامة وأهل الغفلة
 والبطالة ، فذلك وصفٌ خسيس وصاحبه قد صرف نفسه التي هي أمانة الله في ١٢
 الانسان وبها سبب نجاته في الدار الآخرة ووصوله إلى جناب قرب ربه في
 عشق جسد مظلم لأجل قضاء شهوة خسيصة ركيكة لذتها منقطعة ، وفوتها
 وشيك ، والألم عليها بعد الفراق باقٍ ، والحزن من أجلها دائم . ولو كانت ١٥
 على خستها تدوم لصاحبها أبدا لكان فيها لذوي الهمم الدنية مقنع ، إذ سكر
 النفس من خمر الهوى يُريها القبيح في صورة الحسن ، كما قيل (من البسيط) :
 يَعمَى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن ١٨

والمريض يكره طعوم الأشياء اللذيذة ، وربما يستلذ طعوم البشعة منها
 لمرض الحسن ، فكذلك النفس إذا كانت مريضة وضعف إدراكها لذلك

٤ الشمس : كذا في الهامش والذي في الصلب « النفس »

١٠ مقرونة : في الاصل « مقرونا »

١٤ منقطعة : في الأصل « منقلت » ولعله « منقلبة »

تأنس بالردائل وتقنع بها ولا تشوّق للفضائل . وشهوات الدنيا وإن لازمّت
مُدّة الحياة إنما هي مثل أحلام النائم يلدّها بها ما دام نائماً فإذا فارقتها باليقظة
تحسّر على فواتها وتألّم لفراقها . (من البسيط) : ٣

وزارني طيفٌ من أهوى على حدّري من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت أوقيظ من حولي به فرحا وكاد يهتك ستر الحبّ بي شغفا
ثمّ انتبهت وآمالي تُخيل لي نيل المني واستحالت غبطني أسفا ٦

وأيضاً فإن هذه الشهوات الخسيسة تحول في الدنيا بين العقل وبين درك
الحقائق ، فإذا جاء الموت ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ (٣٤ «سبا» ٥٤) ،
وقع الندم على الفائت عند كشف الغطاء ولم يسكن التدارك ، فحينئذ لا
ينفع الندم ولا يُغني الأسف ، فلا صاحب هذه الشهوات باقٍ مع لذاته
ولا فاقدٌ للألم عليها ولا واصل إلى السعادة الأخروية ، وهذا غاية الشقاء -
١٢ نعوذ بالله منه . (من الكامل) :

ومن الشقاء وللشقاء علامةٌ ألا يرى بك عن هواك رجوعُ
والعبد عبد النفس في شهواتها والحرُّ يشبع تارةً ويجوعُ

١٥ (٩/١٠) فصل : ولقائل أن يقول : لم أنكرت محبة صورة الأجسام

المعتدلة لذاتها وما فيها من الكمال الظاهر والجمال المقارن له الذي هو عبارة
عن حسن الصورة ؟ فإن النفوس تحبّ الأجسام لتناسب أعضائها واعتدالها
١٨ وحسن تأليفها وبدائع شكلها بالطبع ، وتنفر عن الصور المنكوسة والخلق
المشوّهة نفارا لا يدخل تحت اختيار ، وإذا كان حب الجمال الظاهر أمرا
غريزيا في الانسان فكيف يمكن صرف النفس عنه وهو مع استحكامه
٢١ لا يطاق ولا يُقدّر على الانخلاع عنه ؟ فكيف تُصرف النفس عنه > وكيف
يمكن < تعليقها بالجمال المجرد ؟ وذلك لا يمكن أن يدرك إلا بعد صفاء

النفس في الغاية وتجوهرها بما يرد عليها من الأنوار القدسية ، وهذا عسير جداً ، لأنه ليس من كسب الانسان ، إذ النفس لا تُدرك بمجرد ذاتها شيئاً حتى يُمدّها الحقّ تعالى بنوره ، وإنما مَسَّكُهَا في ذلك مَسَّكُ العين التي هي آلة ٣ الإبصار لا يمكنها الإبصار حتى يتصل بها نور الروح الحيواني المستمد من القلب ، ثم لا تقيس لها الأشياء حتى يُشرق على تلك الأشياء نورُ الشمس فتظهر في نفسها فيُدركها إذ ذاك البصر ، كذلك النفس لا تُدرك الأمور الروحانية ٦ حتى يُمدّها العالمُ العلويّ بنوره فعند ذلك يتهيأ لها أن تدرك ، ولا تظهر لها الحقائق حتى يُشرق عايتها نور الحق القدسي الواجب لذاته ، وهذا أمرٌ لا يُتوصّل إليه إلا بالتأييد الإلهي ، وقد جاء في الأثر « إن الله جميل يحبّ ٩ الجمال » وجاء « إن النظر إلى الوجه الحسن عبادة » وغير ذلك من الآثار ، هذا الجمال فما المراد بذلك ؟

١٢ فاعلم أن الجمال ينقسم على وجه إلى ثلاثة أقسام: الأول وهو جمال صورة الأجسام الجميلة ونسميه عالم حسن الصورة والجمال الجزئي . الثاني الجمال المجرد عن الأجسام المعقول دونها إما بالذات وإما بتجريد العقل له من العوارض ونُسَمِّيهِ عالم صورة الحسن والجمال المجرد . والثالث الجمال المطلق ١٥ الواجب الوجود وهو الذي يستحقه الحق تعالى ولا ينبغي لأحدٍ سواه ، وهو الجمال القدسي ، والأسفل من هذا مستمدٌ مما فوقه .

١٨ وأما الجمال الذي يظهر على الأجسام الجميلة المسمّى عالم حسن الصورة المفرّق على جميع المستحسنات اللائحة على أعلى ديباج الحدود ، واعتدال قامات القدود ، وفترات للألحاظ ، وعذوبة الألفاظ ، وشنّب الثغور ، وهيفّ الخصور ، ولين المعاطف ، وعدت السوالف ، الجاذب مفهومه لخبّات ٢١ القلوب ، السالب معقوله لروحانية العقول ، فإنما ذلك كما قرّناه أولاً لإشراق نور النفس على آفاق تلك الصفحات المعتدلة ، فهي في الحقيقة شركٌ له وحُجُبٌ دونه وظلٌ من ظلاله ، ولولا ذلك المعنى الذي حصل في هذه الأجسام لم ٢٤

٣ تنجذب لها النفس على لطافتها حتى تغيب عن ذاتها كما لا تنجذب بمجرّد الأجسام إذا عديمت روح الحياة ، وعديمت بعدم الحياة إشراق نور هذا الجمال من عالم الحسن ، إذ النفس اللطيفة لا يجذبها إلا مناسبٌ لها مثلها أو أطف ولو من وراء حجاب ، ولا مناسبة بين اللطيف والكثيف .
(من الكامل) :

٦ ولقد أحنُّ إلى زرودٍ وطنيتي من غير ما جُبِلت عليه زُرُودُ
ويُطربُ الشادي فلا يهترئي وينالُ مني السائقُ الغريدُ
ما ذاك إلا أنّ أقمار الحِمى أفلاكهنّ ، إذا طلعت ، البِيدُ

٩ ولو فرضنا تعرّي الأجسام عن روح الجمال حتى لا يفهم مع الجسم شيء
إلا كونه من اللحم والدم والعظم والجلد كجسم الميت لوجدنا النفس تنفر عن ذلك بطبعها كما تنفر عن جسم الميت ولو كان محبوباً لها قبل الموت
١٢ ولكانت تنفطن أن محبوبها ذلك المعنى الزائد على الجسمية الزائل عنها الآن ،
ولقالت (من الطويل) :

إذا ارتحلت عن أرض نجدٍ أحبتي فلا سال واديهـا ولا اخضرّ عودُها
١٥ والنفس لا تحبّ مجرد الجسم أصلاً إذ لا مناسبة بينهما ، فإنما تجذبها
أولاً روحٌ قريبة الشبه بها تُذكّرها بآلفها معها محلّها الأول ، لكن النفس لا
تتنوّع ولا تكمل إلا بالجسم ، فتحبّه من أجل أنّه مطلع شمسها ، ومهبّط أشعة
١٨ نورها ، كما تُحبّ الدابة لأنّها مركبٌ مُوصلٌ إلى المحبوب لا لذاتها ، وعلى

٦-٨ ولقد الأبيات : لمهيار الديلمي المتوفى سنة ٤٢٨ ، من قصيدة كتب بها إلى الوزير كمال الملك أبي المعالي . ديوانه الجزء الأول (بيروت ١٣١٤) ، ومجمع البلدان ٩٢٨/٢ (زرود) .
[٦ جبلت : فطرت - الديوان]

١٨ لأنها : في الاصل « لانه »

الانفراد لا تحبّ أصلاً . وأما قولك : إن هذا لا يوصل إليه بالكسب فنعم ،
لا يوصل إلى شيء دقيق أو جليل إلا بالله وليس للانسان من ذاته إلا العدم ،
فمن أراد الحقّ بشيء أوصله إليه ويسره عليه . فقد ثبت من هذا أن الجمال ٣
الجزئي إنما هو من إشراق الجمال العلوي المجرد ، والجمال المجرد من إشراق
الجمال القدسي الواجب ، وأن التعليق بالجمال الأدنى سببٌ موصل إلى
الأعلى على ما جرت به سنة الله : ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ (٣٣) ٦
« الأحزاب » ٦٢ .

(١٠/١٠) فصل : وأما أحوال المتعلّقين بالجمال فتختلف باختلاف
متعلّقاتهم منه ، وهو ينقسم على وجه آخر بحسب غرضنا إلى مطلق ومقيّد ، ٩
فالطلق ما ينفرد به الحقّ تعالى في ذاته ، والمقيّد ينقسم إلى كليّ ، وهو ما يعمّ
سائر ذوات العالم علواً وسفلاً ، وجزئيّ وهو ما يخصّ بعض الذوات دون بعضٍ
وبتميّز به كلّ ذاتٍ عن غيرها بالكمال والنقص . وكل واحدٍ من الكلي ١٢
والجزئيّ ينقسم إلى ظاهر وباطن . فالباطن هو المجرد عن الأجسام وهو ما
يظهر على عالم النفس من أنوار الحقّ تعالى ، والظاهر ما يتعلّق بالأجسام ويُدرَك
محلّه بطريق الحواسّ ، وهو ينقسم إلى ما يتعيّن له محلٌّ وإلى ما لا يتعيّن له ١٥
محلّ . وجميع أصناف الجمال أنوار روحانية إلهية لكن بعضها أكمل من بعض
والطف . فالجمال الكلي روح الجمال الجزئيّ وسرّه ، والجمال الباطن روح ١٨
الجمال الظاهر وسرّه ، والجمال المطلق القدسيّ روح الكلّ وسرّ الكلّ ،
فهو إذًا روح الروح وسرّ السرّ ، تعالى من انفرد به . (من الطويل) :

ألمّ بنا وصفٌ أجلّ من الوصفِ أدقّ من المعنى وأخفى من اللطفِ ٢١
تُمازجُهُ الأرواحُ وهي لطيفةٌ إذًا هو روح الروح والروح كالطرفِ
نعمنا به في أرغد العيش بُرّهةٌ ورا رتبة المعقول في عالم الكشفِ

فواعجبنا من باطنٍ وهو ظاهرٌ ومن نازحٍ دانٍ ومن واضحٍ مُخفيٍ
أُمنعُ عن ذاك الحِمى وهو موطنِي أأبعدُ عن جيرانه وهمُ إلفي
٣ سأقدمُ إمّا مُنيّتي أو مُنيّتي وأيسرُ شيءٍ قد رُضيتُ به حتفي

وأما اختلافه من حيث الدلالة فالجمال الظاهر دليل على الباطن ، والجزئي
دليل على الكلي ، والمقيّد دليل على المطلق ، وكلها تشير إلى الجمال الأعلى .

٦ (١١/١٠) وأما المتعلقون بالجمال فهم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف :

الصنف الأول هم الذين بلغ بهم السلوك إلى محبة الجمال المجرد وكمّلوا بعشقه
ذواتهم ، فلما كملت توجّهوا بها لوجه الحق تعالى ، وهؤلاء هم الخصوص .

٩ **والثاني** الذين أحبّوا الجمال الظاهر المتعلق بالأجسام الجميلة إلا أنهم لم

يقفوا فيه مع محلّ معيّن بل تعشّقوا الجمال المبدّد على صفحات الذوات
الجميلة ، وشاهدوه في جميع الصور المستحسنة ، ولا يفرّقون فيه بين الحيوان

١٢ والنبات ، بل يشهدون الجمال القائم بالكلّ ، إذ لكلّ موجود في العالم نصيب

من الجمال الإلهي قلّ أو جلّ ، والعارف الكامل المعرفة يشارك جميع
الموجودات بما جُمع فيه من الأسرار المفرّقة في العالم الكلّي ، وبذلك القدر

١٥ يناسب جميع الصور الروحانية المشرقة على الهياكل الجسمانية، فيقول (من
البسيط) :

أصبحتُ أطفَ من مرّ النسيم سرّى على الرياض يكاد الوهم يؤثاني
١٨ من كلّ معنى لطيفٍ أحسني قدحاً وكلُّ ناطقةٍ في الكونِ تُطربُنِي

ولا شك أن الانسان كما ذكرناه اختصاراً كتاب الأكوان ، ونسخة

العالم الأكبر بالبرهان، وهؤلاء دون الأولين في الرتبة، لعجزهم عن تجريد

٢١ الجمال ومشاهدتهم إيّاه في نفوسهم ثم في العالم الروحاني ، فإن من شاهد

ذلك في نفسه ثم رأى نفسه أنّها حقيقة من حقائق العالم النوراني ثم غاب عنها

في مشاهدته كان نورا كلياً علوياً .

- الصنف الثالث** رهم العوامّ الذين لم يحبّوا الجمال إلا في محلّ مخصوص بصنّفٍ أو بشخصٍ ما، فهو لاء إن كانت محبتهم لهذا الجمال المعيّن بالأشخاص ٣ لمجرّد لذة الطبع خاصّةً دون أن يقارن ذلك بشهوةٍ محرّمة في الشرع فهو مباح ، وكذلك إن اعترضته فتركها تنزّها عنها أو مروّةً ، فإن تركها خوف مقام ربّه، وجاهد نفسه عليها خوف السقوط بارتكابها فهذا من المجاهدين، ٦ فإن مات في جهاده ذلك مات شهيداً . قال عليه السلام : « من عشق فجعف وكفّ ثم مات شهيداً »، إلا أن هذا الصنف محبوبون عن الله تعالى بحظوظهم وعن العالم العلوي، ولا يزول عنهم هذا الحجاب حتّى يكون مطلوبهم ٩ الحقّ تعالى . وأما من أحبّ الجمال واعتقد أنّه غاية الطلب وأن لا شيء فوقه أكمل منه ولا أشرف، وجحد ربّ الجمال الذي الجمال خلّق من خلقه — كما يحكّي عن طائفةٍ من الكفّار — فهذا كافرٌ بالله عابدٌ وثن . وإنما ١٢ يُتصوّر أن يكون النظر إلى الجمال عبادة بشرطين : أحدهما القصد بالتعلّق به الوصول إلى خالقه، إذ لا يُستدلّ على علم الصانع وقدرته إلا باتقان صنّعه وإحكامها، والثاني التعرّي عن الشهوات المخلّدة بصاحبها إلى عالم البهائم . ١٥ (من الطويل) :

ألم ترَ أنّ البدر يوجد ضوءه بصفو غديرٍ وهو في أفق السما

- وكيف لا يكون النظر إلى الجمال بهذا الاعتبار عبادة والناظر إليه مُطالعٌ ١٨ لفاطره وواهبه، ومستدلّ به على جماله الذي لا ينبغي إلا له ، إذ لا يُعطى الجمال إلا من هو أجمل منه ، ولا نسبة بين الجمالين كما لا نسبة بين المجاز والحقيقة والفعل والفاعل ، بل لا يُسمّى الجمال المُبدع جمالا إلا من حيث ٢١ النظر إلى موجدّه، وأما بالنظر إلى ذاته فهو مجاز محض ، والنظر إلى الواهب هو المقصود ، وهذا مُوصل إليه ودالّ عليه . (من البسيط) :

ما فَتَحَ النُّورَ إِلَّا ذَٰلِكَ النُّورُ فَمَا انْتِظَارُكَ وَالْمُنْتَوَرُ مُنْتَوَرُ

(١٢/١٠) ولهذا يوجد في المحيين لله تعالى من يغلب عليه سكر المحبة،

٣ وتظهر عليه صفة الأنس، فيعانق الجذرات، ويقبل أصناف النبات وأنواع الحيوانات، دون تفرقة بين الحسن والقبيح منها، لما يلوح له في هذه المصنوعات من لطائف أسرار الصانع المحبوب، فيقول (من الطويل) :

٦ أَلَا أَيُّهَا الْوَادِي الَّذِي فَاحَ طَبِيبُهُ عَمَى لَكَ عَهْدٌ مِنْ سَعَادٍ قَرِيبُ
وَحُيِّيتَ مِنْ وَادٍ بِكُلِّ تَحِيَّةٍ لِأَنَّكَ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ حَبِيبُ

ومثل هذا نسلّم له حاله ولا نفتدي به .

٩ (١٣/١٠) والغالب على أولياء الله تعالى الحفظ عن مناهي الشرع، فلا

يتزلون إلا إلى ما هو مباح، فإن حركاتهم بالحق وعن الحق، لا عن باعث الطبع .

ولهذا قال بعض العلماء : إنَّ من صحَّ قصده في التوجّه إلى الحقّ ففعل ما

١٢ يفعله ذلك عبادة كاملة في حقّه، ما لم يخطر له تردّد في حين الشروع فيه،

إلا أنّا نشترط في ذلك موافقة الشرع المحمدي . فقد صحّ من جميع ما قلناه

أن محبة الله تعالى وقربه هو الغاية القصوى والسعادة العظمى ، وأن محبة ما سواه

١٥ بقصد الوصول بها إليه من العبادات . قال عليه السلام : « اللهم ارزقني حبّك

وحبّ من يحبّك وحبّ من يقربني حبّه إلى حبّك ! » . فقد سأل عليه السلام

محبة السبب الموصول إلى محبة ربّه تعالى ، ولكن نشترط في محبة الأسباب

١٨ الموصلة ألا تُراد لذاتها بل لتكتسب النفس بها من اللطافة ما تصلح به أن

تكون آلة موصلة إلى الحضرة الإلهية ، إذ لا يصل إلى ذلك الجناب إلا نفس

صفت ورقت . فإن كانت المحبة بغير هذا القصد، بل مقصورة على حبّ

٢١ الأجسام الخسيسة، بقيت النفس مع من تعلقت به وكان ذلك عين حظّها،

وحُجبت به عن الله تعالى أبد الآبدين، لأن ما سوى الحق حجاب عنه : ﴿ فما

١٣/١٠

بعد الحقّ إلا الضلال ﴿١٠﴾ « يونس » ٣٢ ، نعوذ بالله من الخذلان .
(من الطويل) :

إذا رمتُ من ليلي على البُعد نظرةً لأُظفي جَوَى ابن الحشا والأضالعِ ٣
يقولُ رجال الحَيّ تطمع أن ترى محاسنَ ليلي مُتّ بداءِ المطامعِ
وكيفَ ترى ليلي بعينٍ ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامعِ
وتلتذّ منها بالحديث وقد جرى حديثُ سواها في خروق المسامعِ ٦
أجلكِ يا ليلي عن العين إنما أراكِ بقلبٍ خاضعٍ لكِ خاشعِ

ولنختم الكتاب بأسؤلةٍ واعتذاراتٍ لذوي العرفان من الاخوان .

فصل في خاتمة الكتاب

- (١/١١) قال عليه السلام: « من عرف نفسه عرف ربه ». فإن تشوقت إلى معرفة حقيقة هذا الخبر فاعلم أنه لا يصل إلى معرفة حقيقة نفسه إلا من زكّاها، ولا تحصل تركبتها إلا بالرياضة القلبية التامة حتى تصفو وترقّ وتلطّف، فإنها حينئذٍ تُبصر ذاتها بشدّة صفائها ، فإذا صارت كذلك تجلّى لها نور الحق المشرق على كل ذات صافية متوجهة لربّها، فعرفت بالنور المتجلي لها من جناب الحقّ ذاتها وكونها نسخة الوجود ، فتشاهد في نفسها من بديع الصنعة ، وغريب الحكمة ، ومواقع أسرار الجمال ، وفنون أوصاف الحكم المبهج ، ما يحصل لها به الافتتان بما هي عليه من الكمال ، ثم يحدث لها الشوق إلى كمال إدراك حقيقتها فيصفيها ذلك الشوق ، وكلما ازدادت صفاء ازدادت إدراكا واطلاعا وكشفا ، وكلما كثر إدراكها لاح لها الجمال الكلي الذي هو أشرف المبدعات وهو الذي يسمّى عالم الجمال ، فتتعلق بعشقه فيرقى بها إلى محبة واهب هذا الجمال ومُبدعه وفطره الحقّ تعالى ، الذي كل جمال في العالم منه وُجد وبه قام ، إلا أن بعض السالكين لما كُشف له في سلوكه عن جمال نفسه، ورأى ما لها في عالمها من بدائع الكمال، وما اشتملت عليه من محاسن الإبداع ، اعتقد أنها ربّه . ولم يبلغ به التوفيق إلى رؤية بارئها فعبيدها، فكان حجاب هذا من ذاته ، نعوذ بالله من سوء القدر . فإن كل من أدركته بك فهو مخلوق مثلك ، والحق تعالى لا يُدرّك بشيء سواه ، كما ورد في بعض الكتب المنزلة على بعض الأنبياء عليهم السلام : « كنت كنزاً لا أعرف فأردت أن أعرف فخلقت خلقا وتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني فبي عرفوني ».

فلولا أنه تعرّف إليهم لما عرفوه، ودلّهم عليه لما وصلوا إليه . (من الرمل) :

كَبِرَتْ هِمَّةُ عَبْدٍ طَمَعَتْ فِي أَنْ يَرَاكَ
أَوْ مَا حَسَبُ لَعَيْنٍ أَنْ تَرَى مِنْ قَدْ رَاكَ ٣

(٢/١١) فقد صحّ من هذا أن معرفة النفس شرط في معرفة الله تعالى ، ولنعتبر في الدلالة على ذلك بمثال : وذلك أن الشمس محسوسة كلما قوي نورها، لا يتمكّن البصر من رؤيتها على الكمال دون واسطة، والنور ظهور لها، ٦ فقد صارت شدة ظهورها حجابا لها، وليس الحجاب على الحقيقة منها، فإن الظاهر لذاته لا يُحجب من ذاته، وإنما الحجب عليه من غيره، والحجب هاهنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور، ولكن يمكن النظر إليها بواسطة الأشياء ٩ الشفافة كالماء الصافي أو الصقيلة كالمرايا المجلوة ، فإننا إذا نظرنا فيها رأينا صورة الشمس بلا كلفة . فالحق سبحانه وتعالى محتجب عن خلقه بشدة ظهوره، فلا يمكن رؤيته إلا بالوسائط، إلا أن تلك الوسائط لما كان لا وجود لها ١٢ من ذاتها، بل وجودها من الحق تعالى، كانت بالإضافة إلى ذاتها عدما محضا، فلا يُعرف الحق إلا بالحق . (من البسيط) :

لَقَدْ ظَهَرَتْ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمَةِ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا ١٥
لَكِنْ بَطُنَتْ بِمَا أَظْهَرَتْ مُحْتَجِبَا وَكَيْفَ يُعْرِفُ مَنْ فِي عَيْنِهِ اسْتَرَا

(٣/١١) تنبيه على معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى ١٨

٣-٢ كبرت البيتین: رسالة القشيري (١٣١٨) ١٨٦ (باب السماع) والأول فيها ص ١٦٥

(باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا) ، واللمع للسراج ٢١٠

٧ صارت : في الاصل « صار »

١٥-١٦ لقد البيتین : إحياء علوم الدين (١٣٣٤) ٢٧٧/٤ (بيان السبب في قعود أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى) بغير عزو [١٦ في عينه استرا : بالعرف قد استرا]

- إليه بصره . « أما الحجب فقد ثبت بالبراهين أن الحق تعالى لا يستره حجاب وإنما الذي حجبه عن خلقه شدة ظهوره وعجزُ الخلق عن رؤيته لقوة نوره .
- ٣ والحجب لا تكون إلا في حق الأجسام ، وهي هاهنا في حق السالكين وهي كثيرة . واختلفت طرق الحديث في تعدادها . أما الظلمانية منها فهي حجب الشكوك وشبهات الاعتقاد والجهالات والغفلة والاعراض والفتور عن واجب الخدمة وما أشبه ذلك . وأما النورية فهي الوقوف مع الكمالات وصفو المعاملات وحيازة المقامات وصفاء الأحوال ، لأن من وقف مع مقام أو حال فقد امتنع عن النفوذ في السلوك . وبالحملة فما سوى الحق حجابٌ عنه عند ملاحظة ذلك السوى والوقوف معه ، ومن جملتها ملاحظة السالك ذاته فإن رُوِيَتْها حجابٌ عن الله تعالى . وقوله : « أحرقتُ سُبُحات وجهه » يعني بالسُبُحات أنوار تجليته المنسوبة للجلال ، فإنها تُحرق جميع الموجودات أي تُعَدِّمها كالنار إذا استولت على شيء فإنها تُذهب صورته إن كان مما يقبل الاحتراق ، وكذلك الشمس إذا قابلتُ مرآةً صقيلةً أحرقت شعاعها ما كان بينهما من الأجسام القابلة للاحتراق . (من الطويل) :
- ١٥ إذا قابل المرآة للشمس رونقٌ تولد فيما بينهنَّ لهيبٌ
- فقد تبين مما قلناه أن الحق سبحانه إذا تجلَّى لشيءٍ دون حجابٍ مَحْقَ ذاته ، كما يُذهب نور الشمس أنوار الكواكب ، وكيف يقابل الواجب وجوده محض العدم ؟ وهذه أطوار جليلة ومنازلات شريفة لا يُتوصَّل إلى تفصيل حقائقها إلا بالذوق ، فمن ذاق عرف . فالعارفون ينظرون إلى جمال الصنعة الإلهية فيترصلون به إلى صورة الجمال المجرد ، ثم منه إلى عالم الجمال الكلي
- ٢١ ثم إلى جمال الواهب للكل الذي كل جمال في العالم مستفاد منه بالغيبة عن أنفسهم في مشاهدته حتى لا يبقى فيهم منهم شيء ، أولئك الذين اختارهم

٤ واختلفت : في الأصل « واختلف »

١٥ فيما : في الأصل « فيها »

الحق تعالى واصطفاهم واختصهم بمعرفته ومحبه ، ومن عدم هذا النوق
ونحرم هذا الحظ فهو المغبون على الحقيقة . (من الطويل) :

خضعتُ ذليلاً حين عزّت مطالبي وأنستُ رُشداً بين تلك المضاربِ ٣
ولي أربُّ بالجزعِ إن لم أقضه ساقضي وما قضيتُ منه مآربي

فما ظنك يا أخي — أبتدنا الله وإياك بروح منه رأنا لنا توفيقاً من لدنه —

بمن وصل إلى هذه الحال ، وشرب من هذا المنهل الزُّلال ، واتصف بهذا ٦
الوصف الجميل ، وبلغ ذروة هذا المقام الجليل ، من الأولياء وخاصة الأصفياء ،
الذين اختارهم الحق تعالى فأمدّهم بعونه ، وأخفاهم تحت خجابه صوته .
فما يعرفهم سواه ، ولا يعرفون موجوداً حاشاه . (من الطويل) : ٩

بدتُ لك ليلي من وراء حجابها سُحيراً وأبدتُ بارقاً من دلالها
فطبتَ بها عيشاً ونهتَ لئذاًةً وبوّأكَ الإلماعُ بردَ ظلالها
فكيف بها إن أسفرتَ عن نقابها ضحَاءً وأبدتُ لمحةً من جمالها ١٢
وكيف بها إن لم يغب عنك وجهُها ولم تخلُ وقتاً من منال وصالها
وكيف يكون الأمر إن أنتَ كنتَها وكانَتْكَ تحقيقاً فحلتَ لحالها

فهذه طريق السلوك بالمحبة إلى الجنب الأعلى وكيفية الوصول بها إلى ١٥
حضرة قدس الولاء .

وهناك طرقٌ كثيرة متعدّدة غير هذه من طرق أهل الرياضة ، إلا أنها
بعيدة جدّاً وهي مع بُعدها كثيرة الآفات والقواطع ، وقلّ ما تصفو الأعمال ١٨
فيها من الشوائب والموانع ، لكنها خلقت لأصناف من الخلق قد يُسرّوا لها
ويُسّرَت لهم ، لا يصلح بهم سواها ، على أنهم يتفاوتون فيها على حسب
تفاوتها في القرب والبعد ، وذلك بقدر ما خلق الله تعالى فيهم من القبول ٢١

والاستعداد وكلُّ مُيسَّرٍ لما خُلِقَ له وسالكٌ ما نُهَجَ له . (من البسيط) :
الطَّرْقُ شَتَّى وطَّرَقُ الحقِّ مفردةٌ والسالكونَ طريقَ الحقِّ أفرادٌ

- ٣ ولا شك أن هذه الطريق التي تقدم لنا بيانها هي طريق الأفراد المشار إليهم ،
إذ هي في غاية القرب بحيث يمكن الوصول بها في نفس واحد ، فإنَّ
آلات المستعملة فيها والوسائط الموصلة إليها أمورٌ روحانية لطيفة جداً شديدةُ
٦ النفوذ والقوة والقهر والاستيلاء ، فهي طريق الخواصِّ بل خاصِّ الخاصِّ ،
وسوف — إن يسر الله تعالى السيل وفسح في المدة وصرف الموانع — نبين
هذه الطرق المذكورة من حيث أجناسها من غير حصر لأعيانها إذ « الطرق إلى
٩ الله تعالى على عدد أنفاس الخلائق كثرة » . ثم نذكر في كل جنس منها من الكلام
ما يحصل به المقصود الاقناعي بعد أن نصِّف ما يليق بكلِّ جنس منها من
أصناف الخلق وما يُشترط في كل فنٍّ من ذلك من الشروط المصححة
والمكملة . ونحنُ بعد هذا نرغب إلى أهل الفتوة الكاملة والشيم الكريمة الفاضلة
١٢ من أهل الطريق ، السابقين إلى رُتَب أهل التحقيق ، الموصوفين بالحرية ،
والمنعوتين بالخلق الرضية ، في الاغضاء عما عرض في هذا الكتاب من خطأ
ووهم أو إخلالٍ بمعنى دقيق لم يسنح للفهم ، فالخطأ معلوم من سجية البشر
١٥ إلا أنه يُغتفر ، لمن تنصَّل واعتذر ؛ فسلوك هذا المسلك العزيز الوجود متوعرٌ
على العقول البشرية ، متعذرٌ على أكثر الأفهام الآدمية ، لصعوبة مرآته وتطلبه
١٨ وكثرة فنونه وتشعبه ﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (٢٤)
« النور » (٤٦) النور (٢٤) « النور » (٤٦) ، رَزَقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ التَّعَلُّقُ بِأَنْوَارِهِ ،
وكشف لقلوبنا عن لطائف أسرارهِ ، إِنَّهُ وَلِيَّ كُلِّ إِحْسَانٍ ، وواهب كل
٢١ امتنان .

تم والحمد لله رب العالمين في يوم الثلاثاء سابع عشر
شهر ذي القعدة من سنة ست وثمانمائة
اللهم اغفر لكاتبه ولأمة محمد أجمعين .
وصلى الله على نبيه سيدنا
محمد وآله وصحبه
وسلم .

قوبل على أصلها المنقول منه جهد الطاقة والحمد لله تعالى

فهرس الشعر

ء

٨٥	كانت لقلبي أهواء مفارقة	أهوائي
٩٩	روحه روحي وروحي روحه	يشا
١٠٢	شهدت وما شهدت سوى إياي	سوائي

ب

١٣	تبدى لنا في كل شيء حبيبنا	عجبا
١٤	وكم قد أذل الحب من متمزز	سليب
٣٤	إذا ما رأتك العين من بعد غاية	القلب
٣٦	تمر الصبا صفحاً بساكن ذي الغضا	هبوبها
٣٦	رأى البرق مجتازاً فبات بلا لب	يصبي
٦٣	ما لمجنون عامر في هواء	الاغتراب
٧١	هبت رياح وصالحهم سحرا	قلبي
٧٣	إذا اشتقت مفناكم نظرت إلى قلبي	القرب
٧٣	ولما تبدى لي من السجف حاجب	نقائها
٧٦	عذابه فيك عذب	قرب
٨٢	أعني مهاة الرمل عني إليكما	رقيب
٨٥	وكل ما يفعل المحبوب محبوب	
٨٦	أحبك لا أحبك للثواب	للعقاب
١٠٧	ألاحظه في كل شيء رأيت	فيجيب
١١١	وما الخيل إلا كالصديق قليلة	يجرب
١٢١	ألا أيها الوادي الذي فاح طيبه	قريب
١٢٥	إذا قابل المرأة للشمس رونق	لهيب
١٢٦	خضعت ذليلاً حين عزت مطالبي	المضارب

ت

٣٥	أباحث حمى لم يرعه الناس قبلها حلت
٦٢	شربت الحب كأساً بعد كأس رويت

ج

٢٥	جسومنا كالمشاكبي والنفوس لها كالسرج
----	---

ح

٥٤	إلى الملا الأعلى سموت بهمتي يحنج
----	--

د

٣	لم لا أعرض باسم عزة أنها عهدا
٥	حيران في سجن الحوادث موثق الأوهد
١٧	لها أحاديث من ذكراك يشغلها الزاد
٦٤	الله يعلم لو طلبت زيادة مزيدا
٧٠	وجودي أن أغيب عن الوجود الشهود
٨٧	ما تصبرت وهل يصبر فؤادي
١١٤	ومن لم يكن للحق أهلا أضره الرمد
١١٧	ولقد أحن إلى زرود وطنتي زرود
١٢٧	الطرق شتى وطرق الحق مفردة أفراد

ر

٢٨	يا من يعدني لما تملكني لإضراري
٣٤	عيون المها بين الرصافة والجسر أدري
٣٨	مساكين المحبين الحيارى أسارى
٤٦	وقد قلتما لي ليس في الأرض جنة حورها
٥٠	أطالع في مرآة قلبي فلا أرى مصورا
٦٣	سفرت عن الوجه الجميل فأسفرا مقمرا
٧٤	لا كان وادي الفضى لا ينزلون به مطر
٧٥	إذا ما كنت مسروراً بهجري سرور
٨٣	أريد عتايه فإذا التقينا الصدور

٩٠	فما هو إلا أن أراها فجاءة	نكر
٩٢	تصوركم-نفسى على كل جوهر	انظر
٩٧	فواعبها للدهر لم يخل مهجة	الخمير
٩٨	رق الزجاج ورقت الخمر	الأمر
١٠١	قد كان ما كان مما لست أذكره	الخبر
١٠٧	بالنور يظهر ما ترى من صورة	امترا
١٢١	ما فتح النور إلا ذلك النور	منثور
١٢٤	لقد ظهرت فما تخفى على أحد	القمر

س

٨٠	أجلت جهنم عن أن يدنس	الدنس
١٠٤	أيا نشوان من خمير بفيه	خندريس

ع

١٨	دع ذكر أحجار وذكر منازل	ولعل
٢٤	كمل بمشق جمال الكون ففسك إن	معا
٣٧	خذ نصيح قولي في المحبة أو دع	مدعي
٣٧	وطارحنى غنج اللحاظ معانيها	بسمعي
٦٠	وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى	البلاقع
٨٩	إذا ما تجل لي فكلي نواظر	مسامع
٢١٥	ومن الشقاء وللشقاء علامة	رجوع
١٢٢	إذا رمت من ليل على البعد نظرة	الأضالع

ف

١٩	شربنا على زهر الربيع المفوف	قرقف
٢٨	شوقي إليك مجاوز وصفي	أخفي
٥٤	وفائل كيف تفرقتما	إنصاف
١١٥	وزارني طيف من أهوى على حذر	هتفا
١١٨	ألم بنا وصف أجل من الوصف	الطف

ق

٢٨	ما يرجع الطرف عنه حين يبصره	مشت
٥٧	من لي سواك أحبه أو أعشق	المطلق
٦١	نوب الزمان كثيرة وأشدّها	فراق
١٠٨	بعد النقا وفراق جيران النقى	سقى
١٠٩	واضيعة العمر لا الماضي انتفعت به	الباقى

ك

٣٢	خلقت ألوفاً لمو رجعت إلى الصبى	باكيا
٤٤	إذا كنت كرسياً وعرشاً وجنة	وأملكا
٥٢	فيك معنى يدعو النفوس إليك	عليكا
٦٠	يا قلب كيف علقت في أشراكهم	الأشراكا
٦٢	أحبك لا ببعضي بل بكلي	حراكا
٧٦	علامة ذل الهوى	البكا
٨١	إني لأحسد ناظري عليك	إليكا
٨٧	ما إن ذكرتك إلا هم يبعثني	ذكر اكا
١٢٤	كبرت همة عبد	يراكا

ل

٩	كلما مسك شيء مسني	حال
١٧	تركته هوى ليل وسعلى بمنزل	منزل
٢٩	أراك تزيد في عيني جمالا	حالا
٣٣	وتخللت مسلك الروح مني	خليلا
٤٦	إن العيون التي في طرفها مرض	قتلانا
٥١	ولولا معان من جمالك تجتلى	عائل
٧٢	لمعت نارهم وقد عسعس الليل	الدليل
٧٦	وغاية آمالي رضاك فإنني	مواصل
٧٩	وشغلت عن فهم الحديث سوى	شغلي
٨٠	أشتاقه فإذا بدا	لإجلاله
٨٠	ما إن ذكرتكم إلا نسيتمكم	إهمال

٨٤	زوله	لا زلت أنزل من ودادك منزلا .
٨٦	جلى	أجل ما منك يبدو .
٨٩	البقولا	تروح سالماً يا شبه ليلي .
٩٤	أهل	ولما أبى إلا جماحاً فواده .
١٠٤	العدول	أظهرت سر معانيك الشمول .
١٢٦	دلالها	بدت لك ليلي من وراء حجالها .

م

١٧	التمام	ولم أر في عيوب الناس عيباً .
٢١	الدوام	يصحو من الخمر شاربوها .
٢٦	الأعلام	أي النسيم سرى بأي خيام .
٢٧	سقيم	فهل سمعتم بصب .
٦٠	مكلم	وكفاك أني للنائب عاتب .
٦٥	القدم	ما لنا منا سوى حال العدم .
٦٥	أعظم	ما بدا فهو وجهه .
٦٧	ضرامها	فواعجبا من غلة كلما ارتوت .
٦٨	الخيام	وأبرح ما يكون الشوق يوماً .
٧٤	متقدم	وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي .
٧٧	الأحلام	ومنع ما حطنا من وصله .
٨٣	مدامي	أعد ذكر من أهوى ولو بملامي .
٨٨	الكرام	أنا إن مت فالهوى حشو قلبي .
٨٨	مقيم	لئن أصبحت مرتحلاً بجسمي .
٨٩	غرام	فلو بسطت جسمي رأى كل جوهر .
٩٢	خيامها	وإني لتعروني مهابة عزها .
١٠٣	خيامهم	غابت رسوم شواهدني .
١١٠	زكام	أنا كالورد فيه راحة قوم .
١٢٠	السما	ألم تر أن البدر يوجد ضوؤه .

ن

٨	المختني	أفتيتني بك عني .
٩	أنا	ما أرى نفسي إلا أنتم .
٣٢	هنا	بيني وبينك ذمة مرعية .
٣٧	الفرادين	سعوا إلى الراح مشي الرخ وانصرفوا .

٦٤	أنا	لما انتسبت إل حماك تعرفت
٦٥	أنا	أنا من أهوى ومن أهوى أنا
٦٦	الأواني	أنا القرآن والسيح المشافي
٦٩	تداني	أعانقها والنفس بعد مشوقة
٧٠	عريان	يا صاحبي قضيب البان ريان
٧٢	البان	تهفو إلى البان من قلبي فوازه
٧٨	ولساني	كأن رقيباً منك يرعى خواطري
٧٨	نثي	إذا نحن أثبتنا عليك بصالح
٧٩	ولساني	وإخوان صدق قد سئمت حديثهم
٨١	الفتن	قاهت علينا لأن تمت محاسنها
٨٢	الوثنا	يا رب جوهر علم لو أبوح به
٨٥	العيان	ولا معنى لشكوى الشوق يوماً
٨٥	نسيان	وإذا الديار تعرضت لنتيم
٩٣	وطني	كما ترى حبرني
٩٨	المجتون	ولقيت في حبيك ما لم يلقه
٩٩	بالمجانين	قالت جنت على رأسي فقلت لها
١٠٠	خمران	يا خدام الجسم كم تشقى بخدمته
١٠٢	العلمان	سقى الأوطاف المطال دارك باللوى
١١٤	بالحسن	يمى على المرء في أيام محنته
١١٩	يؤلني	أصبحت أطف من مر اللسيم سرى

هـ

٧٤	أراها	بوادي النفس لاقيت ليلي مقيمة
٩١	أهواء	أرى كل شيء لاح للعين مرآة
١١٧	عودها	إذا ارتحلت عن أرض نجد أحبي

و

٥٥	سواء	ولقد نظرت إلى الملاح فلم أجد
٧٠	يقوى	وما السر في الأحرار إلا وديمة

ي

٤٣	إثيا	يا جملة الكل لست غيري
٥١	ليا	خليلي لا والله ما أنا منكما
٩١	المساويا	وعين الرضى عن كل صيب كلية

فهرس الأشخاص

آدم ٥٧
 إبراهيم بن عمر البقاعي هـ
 احسان عباس هـ ، و
 احمد بن سليمان بن حميد الكسائي د
 الأحنف بن قيس ٤٩
 ارسطاطاليس هـ
 افلاطون ب
 ابن حزم الأندلسي أ ، ج
 ابن الدباغ ٦٦
 ابن الرومي ٦٩
 ابن العربي ٦٣ ، ٦٦
 ابن قيم الجوزية د
 ابن المعتز ١٠١
 أبو بكر محمد بن جعفر السامري ج
 أبو بكر محمد بن داود ج
 أبو حجلة الحنيلي د
 أبو الحسن علي بن محمد الديلمي هـ
 أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري و
 أبو زيد عبد الرحمن ٢ هـ
 أبو سعيد الميمني ٦٥
 أبو الطيب المتنبي ١٧ ، ٣٢ ، ١١١
 أبو عبد الله محمد الأنصاري ٢
 أبو عبد الله محمد بن حفيف هـ
 أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ج

ب

بروكلمان ب ، ج ، د ، هـ ، و
 بشر بن الحارث ٧٥
 بهرام ١٠٥ ، ١٠٦
 بنو عذرة ب

ج

الجاحظ ب
 جرير ٤٦
 الجنيد ٧١

ح

حاتم الطائي ٤٩
 الحسين بن منصور الحلاج ب ، ٨ ، ٩ ،
 ٢٠ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٦ ،
 ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ .

د

داود الأنطاكي المتطبب هـ

ذ

ذو الرمة ٦٠

ر

الروم ١١٣

س

الصراج ٨ ، ٦٢ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ١٢٤

سري السقطي ٧٥

سعاد ١٢١

سعدى ١٧

سليمى ٣٦

السؤال ٤٩

ش

الشبلي ٨١ ، ٩٣

الشريف الرضي ٨٢

شهاب الدين أبي الشتاء محمود بن فهد

الخلبي د

الشتقيطي ٤٦

ص

الصاحب بن عباد ٩٨

ع

عائشة ، رضي الله عنها ٩٢

عبد الله محمد بن البواب ٣٥

امراة العزيز ٩٠

عزة ٣ ، ٣٥ ، ٦٤

المكبري ١٧ ، ٣٢ ، ١١١

علاء الدين أبي عبد الله مغلطاي د

علي ، كرم الله وجهه ٨٢

علي بن الجهم ٦١

عمرو بن معدى كرب ٤٩

غ

الغزالي أ

ف

فخر الدين أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن

طاهر ه

ق

القاسم بن عيسى الناجي و

القشيري ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ،

٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٢٤

قيس بن معاذ المجنون ٧٩ ، ٨٧ ، ٩٢ ،

٩٨ ، ٩٩

ك

كمال الملك أبي المعالي ١١٧

كثير حزة ٣ ، ٣٥ ، ٦٤

ل

ليل العامرية ١٧ ، ٥١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

٨٢ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٢ ،

١٢٢ ، ١٢٦

م

مقي ٥٧

مجنون ليل (قيس بن معاذ المجنون) ب ،

٣٦ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١٠٥

المجوس ١١٣

محمد ، صلى الله عليه وسلم ٢ ، ٨٨

محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ٤٦

محمد يوسف نجم و

المرزبان ١٠٥ ، ١٠٦

مهيار الديلمي ١١٧

موسى ، عليه السلام ٨٨

ن

النوري ٩٣

هـ

هنري بريس ٣ ، ٦٤

الهنود ١١٣

ي

يعقوب ، عليه السلام ٣٤

يوسف الصديق ٩٠

فهرس الأماكن

د	ا
دمشق د	الأجرع ١٨
ر	استانبول ج ، د ، و
الرصافة ٣٤	ألمانيا هـ
ز	أنقرة هـ
زردود ١١٧	إيطاليا ج
س	ب
سفن عاقل ٥١	باريس د ، ٦٤
سلع ٥١	برلين د
ط	بروسه ج
طوى ٢	بغداد ٧٥
ع	البيت الحرام ٧٤
العقيق ١٨	بيروت ج ، ١١٧
غ	ج
وادي الفضى ٣٦ ، ٧٤	الجزائر ٣
غوطاج	الجسر ٣٤
ق	ح
القاهرة د	حاجر ٥١
القيروان و	الحجر الأسود ٧٣
	حزوى ٥١
	الحصى ٧٤

ك

الكمية ٧٣

ل

لعلع ١٨

اللوى ١٨ ، ٧٣ ، ١٠٢

ليدن ج ، ٦٢ ، ٨٤ ، ٩٣

م

مصر ١٧ ، ٣٢ ، ٤٦ ، ٦٩ ، ٨٧ ،

٩٠ ، ٩١

مكة ٢٧ ، ٣٣ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٨٦ ،

٨٨ ، ٩٨

هـ

أهتد د

الفهرس

١	مقدمة
٢	بسم الله الرحمن الرحيم
٤	مقدمة المؤلف
١١	الباب الأول : في الطريق الموصلة للنفوس الزكية إلى المحبة الحقيقية .
١٩	الباب الثاني : في المحبة ومعانيها واختلاف عبارات الناس فيها .
٣٠	الباب الثالث : في أقسام المحبة الجنسية والنفسية
٣٩	الباب الرابع : في معنى الجمال والكمال على ما يعطيه المقال وفيه فصلان
٥٢	الباب الخامس : في المحبة المعنوية الخفية عن أذهان البرية
٥٩	الباب السادس : في أقسام المحبين من السالكين
٦٧	الباب السابع : في مقامات السالكين وأحوال العارفين
٨٤	الباب الثامن : في منازل الواصلين من أهل التمكن
٩٦	الباب التاسع : في ذكر العشق على الإجمال وما يتصل بذلك من الأحوال
١٠٥	الباب العاشر : في الفضائل التي تكتسبها النفس بطريق المحبة
١٢٣	فصل في خاتمة الكتاب
١٢٩	فهرس الشعر
١٣٥	فهرس الأشخاص
١٣٨	فهرس الأماكن

Kitāb Mašārik Anwār el-Kulūb

wa Maḥāliḥ Asrār el-Guyūb

by

A'bd el-Raḥmān b. Muḥammad el-Anṣārī

ed.

H. Ritter

Dar SADER, Publishers

BEYROUTH

مقدمة

من المعلوم أن العشق وأحوال العاشقين موضوع يعم آداب كل الأمم في جميع الأجيال وما يزال الناس يتحدثون عنه ثراً ونظماً منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا ، ولولاه لعدمنا نصف الآداب العالمية أو أكثر . ومع هذا فإن الأبحاث النظرية في ماهية العشق وسببه والممدوح والمذموم منه وغير ذلك قليلة نسبياً في آداب العالم ، وقد كان للعرب حظ عظيم من هذا النوع من التأليف وإن كان الذي نشر منه بوجه مرضي أو ترجم إلى اللغات الأوروبية قليلاً . ومؤلفات العرب في العشق حسنة جيدة يدلّ على حسنها وجودتها أن تلك التي تُرجمت منها ككتاب طوق الحمامة لابن حزم أو الأبواب المتعلقة بالمحبة والعشق من إحياء علوم الدين وكيمااء السعادة للغزالي لقيت رغبة عظيمة عند الطبقة المثقفة في أوروبا وما تزال مطلوبة مقروءة .

ومعلوم أيضاً أن بحث العشق يرد كثيراً في كتب الأدب العربي العامة ولكن يوجد أيضاً كتب ورسائل أفردت لهذا الموضوع وهي تنقسم بوجه عام إلى نوعين : نوع اعتبر مؤلفوها المحبة والعشق ظاهرة إنسانية لا تعدو حدود الأحوال البشرية المشهودة من أهلها من الحيرة عند مشاهدة جمال مخلوق ، ومن تعلق القلب بالمعشوق والألم عند هجره أو فراقه والشوق إليه إذا غاب وتتييم العشق صاحبه وابتلائه بالرقباء والوشاة إلى غلوّ في العشق الذي يؤدي بصاحبه إلى الموت أو إلى قتله نفسه لشدة الغرام واليأس من الوصال أو إلى الجنون . والكتب التي من هذا النوع لا تكاد تخلو من حكايات غريبة عن

المحبين والعاشقين كما حكوا عن نبي عذرة ومجنون ليلي وغيرهم .
والنوع الثاني من الكتب المؤلفة في العشق هو ما ألفه أهل التصوف الذين يعتبرون
محبة الجمال المخلوق مرحلة أولية في سلوك السالك يجب أن يرتقي منها إلى محبة
خالق الجمال ، ويسدون هذه المحبة محبة حقيقية أو عشقاً حقيقياً وذلك الآخر
عشقاً مجازياً ، ويستعملون عند البحث في المحبة والعشق اصطلاحات الصوفية
من الشوق والسكر والوجد والفناء في المحبوب والاتحاد به ، ويتحدثون عن
مناسبة خفية بين العاشق والمعشوق وربما ادعوا أن المخلوق الجميل مظهر للجمال
المطلق الإلهي الذي هو عندهم صفة من صفات الباري . ويبدو في بعض
كتبهم تأثير فلسفة أفلاطون فإنه أول من تكلم عن الجمال المطلق الذي يتجلى
في جمال الانسان الجميل ، وبلغ ببعض أصحاب هذه النظرية أن ادعوا أن
كل عاشق جمال مخلوق إنما يعشق الجمال الإلهي المتجلي فيه وهو لا يشعر من
يحب في الحقيقة . ولهم أقوال غريبة في حضور المعشوق في قلب العاشق حتى
أنه يؤثر حضور المعشوق في القلب يعني في الخيال على حضور شخصه المحسوس
كما قيل إن مجنون بني عامر لما حضرته ليلي لم يسره حضورها بل قال لها :
« إليك عني حبك شغلي عنك » ، ومنهم من ادعى أن اتحاده بمعشوقه بلغ
به حتى صار نفس المعشوق ، كما قال الحلاج « أنا من أهوى » . ولا شك
أن الصوفية اطلعوا على أسرار لقلب الانسان لم يطلع عليها غيرهم وكشفوا
عن حالات روحانية بقيت مستورة على سواهم فنسلم لهم بحالاتهم ومقاماتهم
وإن صعب علينا فهمها وتحققها .

أما الكتب المؤلفة في العشق^١ من النوع الأول فأهمها هذه :
١ - أول تأليف وصل إلينا من هذا النوع رسالة للجاحظ (المتوفى سنة
٢٥٠ هـ) اسمها « رسالة العشق والنساء » . (بروكلمان . الذيل

(٢٤٣/١)

٢ - كتاب « الزهرة » للفقيه الظاهري أبي بكر محمد بن داود (المتوفى سنة ٢٩٧ هـ) شهيد العشق وراوي الحديث المشهور « من عشق وكنم وعف ومات فهو من الشهداء يوم القيامة » وهذا الكتاب يحتوي على مقدمة في العشق وعلى شعر كثير ؛ وطبع منه القسم الأول في سنة ١٩٣٢ ولم يطبع إلى الآن القسم الثاني الذي كشف عن نسخة منه في بعض مكتبات إيطاليا (بروكلمان . الذيل ٢٤٩/١) .

٣ - كتاب « اعتلال القلوب » لأبي بكر محمد بن جعفر السامري الخرائطي (المتوفى سنة ٣٢٧ هـ) توجد منه نسخة غير كاملة في دار الكتب تاريخها ٨٤٢ هـ . ونسخة في مكتبة غوطا قديمة (كتبت قبل سنة ٤٨٧ هـ) غير كاملة أيضاً . ونسخة كاملة مكتوبة في سنة ١٠٣٥ في مكتبة أولو جامع في بروسه (تصوف ٣) (بروكلمان . الذيل ٢٥٠/١) .

٤ - كتاب « مصارع العشاق » لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج القاري المتوفى سنة ٥٠٠ هـ أو بعدها بقليل ونسخته الوحيدة في مكتبة رئيس الكتاب مصطفى (رقم ٩٠٦) وعنها طبع الكتاب في مطبعة الجواثب باستانبول سنة ١٣٠٢ ثم طبع مرة ثانية في بيروت سنة ١٩٥٨ (بروكلمان . الذيل ٥٩٤/١) .

٥ - كتاب « طوق الحمامة » المشهور لابن حزم الأندلسي (المتوفى سنة ٤٥٦ هـ) طبع في ليدن سنة ١٩١٤ وترجم مراراً إلى اللغات الأوروبية (بروكلمان . الذيل ٦٩٤/١) .

٦ - لا نعدم من يذم الهواء ويحذر الناس عنه (وإن قلت فائدة ذلك) ومنهم أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الواعظ الحنبلي المشهور (المتوفى سنة ٥٩٧) واسم كتابه « ذم الهواء » وهو كتاب ضخم

غني ومنه نسخ في باريس (رقم ١٢٩٦) وبرلين (آلوردت ٨٣٦٢)
وشهيد علي باشا (رقم ١٤٨٠) وكوبرولو (رقم ٧٢٢) وفاتح
(رقم ٢٦٢٠) وقراجليبي زاده حسام الدين (رقم ٣٠٣ - ٣٠٤)
ولم يطبع إلى الآن على أهميته (بروكلمان . الذيل ٩١٩/١) .

٧ - كتاب « روضة العاشق ونزهة الوامق » لأحمد بن سليمان بن حميد
الكسائي الشافعي كتبه للملك الأشرف أبي المظفر موسى بن سيف
الدين أبي بكر (المتوفى سنة ٦٣٥) ، توجد منه نسخة في مكتبة
السلطان أحمد الثالث في طوب قابي سراي باستانبول (رقم ٢٣٧٢)
(بروكلمان . الذيل ٥٩٩/١) .

٨ - كتاب « منازل الأحباب ومنازه الألباب » لشهاب الدين أبي الثناء
محمود بن فهد الحلبي (المتوفى سنة ٧٢٥) توجد منه نسخ كثيرة .
(بروكلمان . الذيل ٤٣/٢) . وأهم نسخها نسخة أيا صوفيا (رقم
٤٣٠٧) التي قرئت على المؤلف في منزله بالقاهرة في سنة ٧١٤ هـ .
٩ - كتاب « روضة المحبين » لابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١ هـ) .
طبع في دمشق سنة ١٣٤٩ (بروكلمان . الذيل ١٢٨/٢)

١٠ - كتاب « الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين » للحافظ
علاء الدين أبي عبد الله مغلطي (المتوفى سنة ٧٦٢ هـ) ألفه بين
سنتي ٧٤٠ - ٧٤١ هـ . وهو معجم شهداء العشق (وهو فن عجيب) .
منه نسخة في مكتبة فاتح (رقم ٤١٤٣) كتب في حياة المصنف في
سنة ٧٤٢ هـ ، وأخرى في مكتبة شهيد علي باشا رقم ٢١٦٠ (٨٧٣ هـ) .
وطبع القسم الأول منه على وجه غير مرضي بالهند (بروكلمان .
الذيل ٤٨/٢) .

١١ - « ديوان الصبابة » لابن أبي حجلة الحنبلي (المتوفى سنة ٧٧٦)
(بروكلمان . الذيل ٦٠٥/٢) .

١٢ - كتاب « أسواق الأشواق » لابراهيم بن عمر البقاعي (المتوفى سنة ٨٨٥) وهو توسيع لكتاب مصارع العشاق للسراج المذكور تحت رقم ٤ . وهو كتاب ضخم توجد منه نسخة في مكتبة رئيس الكتاب مصطفى (رقم ٧٤٥) وأخرى في مكتبة بشير آغا (رقم ٥٥٢) ولم يطبع إلى الآن (بروكلمان . الذيل ١/٥٩٤) .

١٣ - كتاب « تزيين الأسواق بتفصيل (بترتيب) أشواق العشاق » لداود الانطاكي المتطب (المتوفى سنة ١٠٠٨ هـ) وهو تلخيص كتاب أسواق الأشواق (بروكلمان . الذيل ١/٥٩٤ و ٢/٤٩٢) .

النوع الثاني كتب المتصوفين في المحبة والعشق

١ - أقدم كتب المتصوفين في العشق كتاب « عطف الألف المؤلف على اللام المعطوف » لأبي الحسن علي بن محمد الديلمي تلميذ أبي عبد الله محمد بن خفيف الصوفي المشهور المتوفى سنة ٣٧١ هـ . وهو مؤلف كتاب سيرة ابن خفيف (بالفارسية) الذي طبع بأنقرة ، ورسالة « العقيدة الصحيحة » . وكتاب عطف الألف المعطوف هام لأنه يحتوي على فصل من مكالمة لأرسطاطاليس في العشق ضاع أصلها اليوناني (وللاستاذر . فالتسر بحث في هذا الفصل لا يحضرني عنوانه) ، والنسخة الوحيدة من هذا الكتاب توجد في مكتبة توينغن في ألمانيا وفيها من السقم والغلط شيء عظيم وحاولت تحقيقه بمعاونة الدكتور إحسان عباس على أن فيه خرافات ينفر منها العقل السليم (بروكلمان . الذيل ١/٣٥٩) .

٢ - رسالة « جمحة النها عن لمحة المها » لفخر الدين أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم بن طاهر الحبري الفيروزابادي (المتوفى سنة ٦٤٢ هـ)

(انظر ميزان الاعتدال للذهبي تحت اسمه) وفرغ المؤلف من تأليفها في سنة ٦٠٧ هـ . وتوجد هذه الرسالة في مجموعة رسائل في مكتبة ولي الدين في استانبول كتبت في سنتي ٨٠٦ - ٨٠٧ هـ (ورقة ٤٠ - ٥٣ آ) .
(بروكلمان . الذيل ٧٨٧/١) .

٣ - رسالة « نسل الأسرار وسر الاسكار » للمؤلف نفسه في المجموعة عينها (ورقة ٥٤ - ٩٣ ب) .

٤ - « مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب » لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري القيرواني المعروف بابن الدبّاغ المتوفى سنة ٦٩٦ هـ وأصله في المجموعة عينها (ورقة ١ - ٣٩ آ) فرغ من مقابلتها بأصلها في ١٧ ذي القعدة ٨٠٦ هـ (انظر اللوحتين) .
والمؤلف مؤرخ القيروان وكتب كتاباً في تراجم أهلها هو أساس كتاب « معالم الايمان في معرفة أهل القيروان » للقاسم بن عيسى الناجي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ . ولم أقف على هذا الكتاب ولا على مظان ترجمة ابن الدبّاغ . (بروكلمان . الذيل ٨١٢/١ ، ٣٣٧/٢) .

وهذه الرسالة هي التي ننشرها هنا وأظنها مثالا جيدا لأقوال المتصوفين في العشق المتأثرين بالفلسفة الافلاطونية ولا أتمكن هنا من تحليل أقوال المؤلف بالتفصيل ولا من البحث عن مصادرها المحتملة .

ولا يفوتني قبل ختم الكلام أن أشكر الاستاذين محمد يوسف نجم وإحسان عباس اللذين ساعداني عند تحقيق المتن وطبعه شكرا خالصا .

هـ . ريتو

